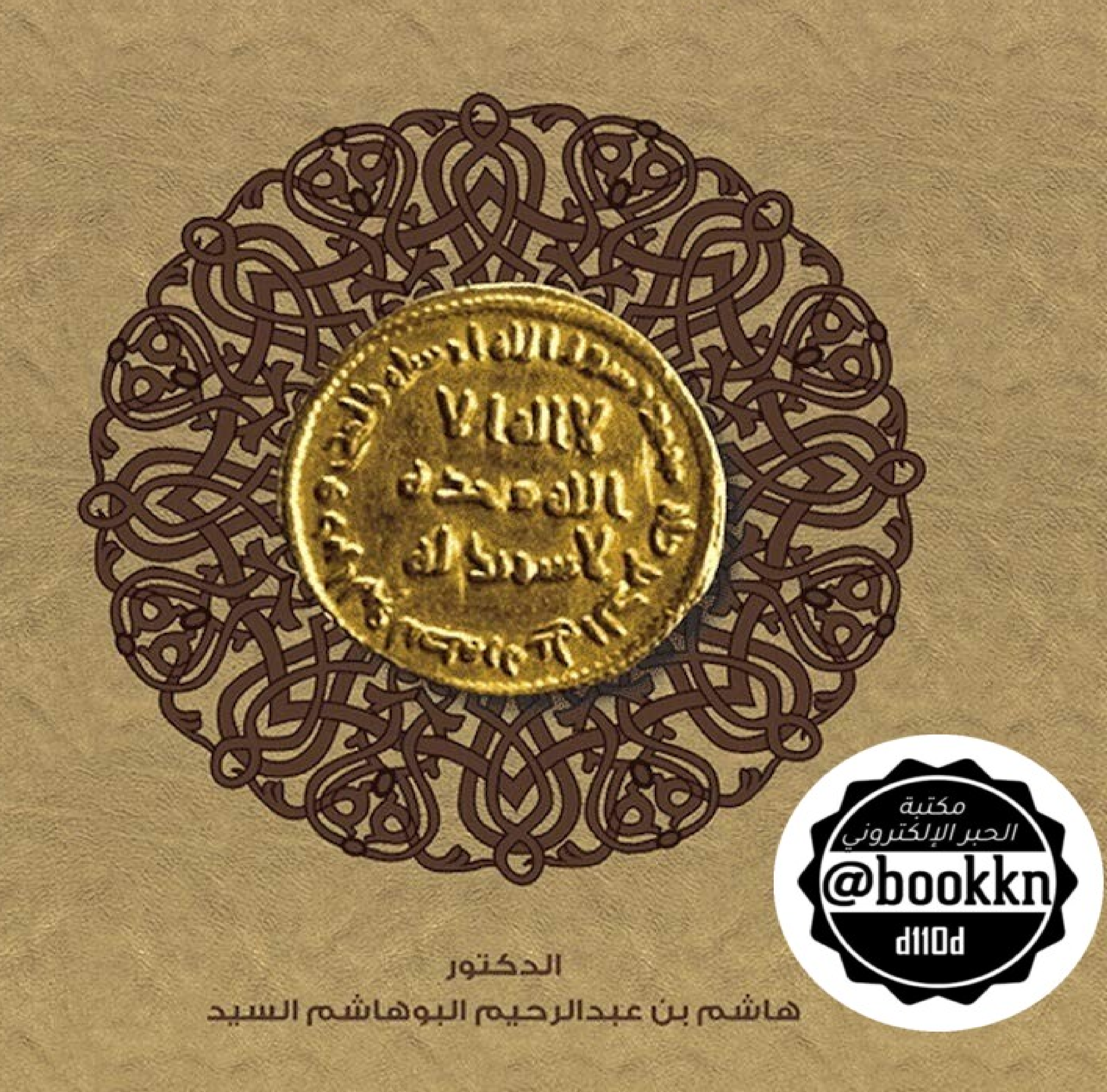
عبدالرحمن بن عوف
في عالم الثراء



الدكتور
هاشم بن عبدالرحيم البوهاشم السيد

عبدالرحمن بن عوف
في عالم الثراء

الدكتور
هاشم عبدالرحيم البوهاشم السيد

المقدمة

يعتبر المال عصب الحياة وقيمة أساسية في حياة الإنسان، والإنسان بدون مال يشعر بالضيق والفقر وسوء المعيشة. فهو وسيلة لتأمين متطلبات الحياة وحفظ كرامته، وهو رزق من أرزاق الله الذي فضل به بعضنا على بعض، كما أن للمال أثراً جلياً في تقوية أواصر العلاقات الاجتماعية وزيادة الصلة وذلك اذا ما أحسن استغلاله وتوظيفه بحيث يتحول الى مصدر لسعادة الإنسان ونعمة إذا أحسنت استغلالها.

والمال مع ضرورته للحياة يعد نعمة عندما يكتسب بالعمل والجد وعندما يتخذه الإنسان وسيلة إلى الإنفاق في وجوه الخير والعمل الصالح والبر والإحسان، وقد يكون نقمة عندما يكتسب بطريق غير شرعي وعندما يستخدمه المرء كوسيلة وأداة للربا وفعل الموبقات.

ويحث الإسلام على كسب المال ومن أجل هذا شرع الإسلام ما ينظم التعاملات المالية بين الناس، ومنها طرق كسبه..كالبيع والشراء والزراعة والصناعة والتجارة أو الوظيفة في العمل المباح وغيرها، كما نهى الإسلام عن الطرق غير المشروعة لكسب المال والمتمثلة في: الربا والقمار والنصب والاحتيال والغش والتطفيف في الميزان والسرقة والاتجار بكل محرم.

وكما أمر الاسلام بالمحافظة على المال وتنميته بالطرق المشروعة أمر أيضا بمعرفة حق الله والعباد في هذا المال، ويحصل له ذلك بالبذل والعطاء والإنفاق في سبيل الله بسخاء ، فإن في ذلك حياة المجتمع وتضامن أفراده وثبات بنيانه كما أن فيه تربية للإيمان بالاعتماد على الله والتوكل عليه وفيه تزكية للنفوس وراحة للضمير وسكينة للفؤاد.

وفي هذا الكتاب نحن أمام شخصية حررت ذاتها من قيود المال وكانت تطبيقا عمليا لشرع الله في طرق كسب المال وصور إنفاقه، وهو الصحابي الجليل عبدالرحمن بن عوف، رضي الله عنه الذي عرف حق الله في المال فرزقه الله من حيث لا يحتسب، وبارك له في ماله فكان عطاؤه عطاء من لا يخاف الفقر وكان الإنفاق والصدقة أحب شيء إليه.

وقد قمت قمت بتقسيم الكتاب إلى أربعة فصول، ففي الفصل الأول نتناول نسب عبدالرحمن بن عوف وصفاته ومناقبه وملامحه الشخصية وأزواجه وأبنائه وقصة إسلامه ورواياته عن النبي صلى الله عليه وسلم ونختتم الفصل بوفاته رضي الله عنه.

وفي الفصل الثاني نلقي الضوء على دوره في بناء الدولة الإسلامية وتقديمه لماله ونفسه في سبيل ذلك دون طمع في جاه أو سلطان، فرغب بنفسه عن الإمارة، وكان مع ثراءه وكثرة أمواله شديد التواضع، عكس البعض من أصحاب الأموال الذين تتحول أموالهم إلى مفسدة عندما يسعون من خلال أموالهم إلى السلطة وبسط النفوذ. وهنا نرى ملازمته للرسول صلى الله عليه وسلم وغزواته معه وإنفاقه على الجيش، ثم بعد ذلك مواقفه مع الصحابة أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب حتى إتمام البيعة لعثمان بن عفان.

أما الفصل الثالث فقد تم تخصيصه لدور التجارة في حياة عبدالرحمن بن عوف وأهميتها لديه في تكوين ثروته، مفضلاً ذلك على الاتكال على غيره، وليرسم لنا الطريق في دور العمل في حياة الإنسان وأن الغنى لا يتعارض مع الإيمان. ثم نظرياته في التجارة ومبادئه في ريادة الأعمال وأخيراً نفقاته في سبيل الله وتركته.

ولكي نربط الماضي بالحاضر والتدليل على أن شرع الله يصلح لكل زمان ومكان فقد استعرضنا في الفصل الرابع من الكتاب سمات الأثرياء من خلال خمسة نماذج من أثرياء العالم في العصر الحالي، وفي الحقيقة فإن ذلك ليس لمجرد السرد. أو تناول لقصص الأغنياء ولكن لنرى بعض أوجه الشبه بينهم وبين عبدالرحمن بن عوف في طريقة تكوين الثروات، وإنفاقها حتى يكون في ذلك عبرة ومنهاج لغيرهم ممن يطمحون إلى التحليق في عالم المال والأعمال ليدركوا الواجبات الأدبية والأخلاقية في تكوين الثروات وأهمية الاستثمارات في تحقيق التنمية القائمة على احترام حقوق الفرد والمجتمع.

واتمنى التوفيق والسداد من الله، فهو ولي ذلك.

الدكتور هاشم عبدالرحيم البوهاشم السيد

الفصل الأول
عبدالرحمن بن عوف
نسبه وإسلامه وصفاته

- نسبه
- تسمية الرسول صلى الله عليه وسلم له بعبدالرحمن
- ملامحة الشخصية
- ألقابة وثناء الناس عليه
- أزواجه
- ابناؤه وبناته
- أصهاره
- إسلامه
- مناقبه وفضائله
- رواياته عن النبي صلى الله عليه وسلم
- صفاته
- وفاته

ينتمي عبدالرحمن بن عوف إلى أسرة من أشراف أسر قريش، وهي بني زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر. و جد هذه الأسرة هو زهرة أخو قصي ابن كلاب والد هاشم جد النبي صلى الله عليه وسلم.

وقد ارتبطت هذه الأسرة ببني هاشم، وبني عبد مناف، فكانوا معهم في حلف المطيبين الذي تحالف فيه بنو أسد، وبنو زهرة، وبنو تيم، وبنو الحارث مع بني عبد مناف ضد بني عبد الدار وحلفائهم، لانتزاع مكارم قريش منهم، ونقلها إلى بني عبد مناف.

وارتبطت بنو زهرة مع بني هاشم برباط المصاهرة، ومن ذلك أن عبد المطلب جد النبي صلى الله عليه وسلم تزوج من هالة بنت وهيب بن عبد مناة ابن زهرة، فولدت له حمزة، والمقوم، والغيداق، وصفية.

كما تزوج والد النبي صلى الله عليه وسلم من أمه آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة. وكان أبوها سيد بني زهرة، وقد اشتهر بنو زهرة في قريش بالتجارة، وكان والد عبدالرحمن من التجار.

• نسبه

هو عبدالرحمن بن عوف بن عبد عوف بن عبد بن الحارث بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب ين فهد بن مالك بن النضر بن كنانة. ويلتقي نسبه مع نسب أم الرسول صلى الله عليه وسلم في زهرة بن كلاب أي أنه من أخوال رسول الله. ولد بمكة المكرمة بعد عام الفيل بعشر سنين، فكان عند إشراق أنوار البعثة النبوية ابن ثلاثين سنه، وعلى ذلك فهو اصغر من النبي صلى الله عليه وسلم بعشر سنين.

أبوه عوف بن عبد عوف بن عبد بن الحارث الزهري، من أكابر بني زهرة ومشاهيرهم والمرجح أنه مات قبل الإسلام. وأمه الشفاء بنت عوف الزهرية، وقد أسلمت رضي الله عنها، وبايعت وصحبت النبي صلى الله عليه وسلم.

وقُتل والد عوف في الجاهلية عند الغميصاء، عندما كان عائداً من اليمن بتجارة، وكان معه الفاكه بن المغيرة، وضرار بن الخطاب، بالإضافه إلى ابنه عبدالرحمن بن عوف، فمروا بالقرب من بني جذيمة من بني كنانة، فقطعوا عليهم الطريق، وقاتلوهم وقتل عوف، والفاكه، وهرب ضرار بن الخطاب، وتوجه إلى مكة، وكان فيها خالد بن عبيد بن سويد، أحد أتباع بني الحارث بن عبد مناة بن كنانة، وهو حليف بني زهرة، فاستنجد بابن ضرار،،وقال له: "خذلنا عيرنا ودماءنا من قومك، فقال خالد: لا أعينكم ولا أعين عليكم". وبعد مرور وقت من الحادثة قتل عبدالرحمن بن عوف قاتل أبيه الجذمي في عكاظ وكان عثمان بن عفان قد دله عليه.

وبعد فتح مكة أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم السرايا لدعوة القبائل التي تقع حول مكة إلى الإسلام، ومنعهم من القتال، فأرسل خالد بن الوليد إلى أسفل تهامة داعياً، غير مقاتل فوصل إلى بني جذيمة، وعندما رآه القوم، استعدوا لقتاله، فأخبرهم أنه لم يأت لقتالهم، فتركوا أسلحتهم، حينها

قام خالد بن الوليد بمهاجمتهم، وأسر عددا منهم، وقتلهم، عندما علم رسول الله صلى الله عليه وسلم بما فعل خالد قال : "اللهم إني أبرأ إليك بما صنع خالد بن الوليد، وعند عودته عاتبه عبدالرحمن بن عوف على فعلته، فقال له خالد: "لقد ثأرت لأبيك"، فقال له عبدالرحمن بن عوف : "كذبت، قد قتلت قاتل أبي، ولكنك ثأرت لعمك الفاكه بن المغيرة ".

وبلغ رسول الله ماحدث بين خالد وعبدالرحمن فقال صلى الله عليه وسلم لخالد "مهلاً ياخالد، دع عنك أصحابي، فوالله لو كان لك أحدٌ" يقصد جبل أحدٌ ذهباً، ثم أنفقته في سبيل الله، ما أدركت غدوة رجل من أصحابي ولا روحته". (صحيح مسلم، ج 4، ص 1967)

- **تسمية الرسول صلى الله عليه وسلم له بعبدالرحمن**

وعلى عادة القرشيين في تسمية أبنائهم وتعبيدهم لغير الله، مثل عبد الكعبة، وعبد شمس، وعبد مناة، وعبد العزى، وعبد مناف سار عوف بمثل هذه العادة وسمى ابنه : عبد عمرو، ولازمه هذه الاسم إلى أن أصبح رجلاً، واستنقذه الله بالاسلام، حيث عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم على تغيير الأسماء القبيحة أوما يشير معناها إلى العبادة لغير الله تعالى، فجمله رسول الله بواحد من أحب الأسماء إلى الله فسماه عبدالرحمن.

وقد روى مسلم وأبو داود والترمذي عن عبد الله بن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أحب الأسماء إلى الله تعالى عبد الله وعبدالرحمن". (رواه مسلم في صحيحه، 2132 وأبو داود)

وعن إبراهيم بن سعد بن إبراهيم بن عبدالرحمن قال: حدثني أبي، عن أبيه، عن عبدالرحمن بن عوف قال: "كان اسمي في الجاهلية عبد عمرو، فسماني النبي صلى الله عليه وسلم عبدالرحمن " وكان عبدالرحمن يكن أبا محمد، واشتهر بها بين الناس، وخاطبه بها رسول الله صلى الله عليه وسلم والصحابة.

كان له أخوه من أمه الشفاء، وهم الأسود بن عوف، هاجر قبل الفتح، وقيل أسلم في عام 8 هـ، شارك يوم الجمع مع عائشة بنت أبي بكر الصديق، وقتل فيه. وعبد الله بن عوف، لم يهاجر وقيل أنه أسلم في الفتح، وكان له دار في المدينة، وقد توفى فيها، وحمناً بن عوف، لم يهاجر، وقيل أسلم يوم الفتح، ولم يدخل المدينة المنورة، وقيل بل مات في المدينة بدارة وعاش في الجاهلية ستين عاماً، وفي الإسلام ستين عاماً.

• ملامحه الشخصية

إضافة إلى ما أكرم الله به عبدالرحمن بن عوف من علو النسب، وطيب الأصل، وفخامة الحسب، فقد منحه الله جمال المنظر وبهاء الطلعة، فأضفى عليه من الصفات الخَلْقية الوضيئة ما يوازي طهارة روحه، فقد كان فارع الطول، جميل، مشرق الوجه، بهي المنظر، تهابه النفوس.

وصفته سهله بنت عاصم فقالت : (كان عبدالرحمن بن عوف أبيض، أعين، أهدب الأشفار، أقنى، طويل النابين الأعليين، وربما أدمى نابه شفته، له جمة أسفل من أذنية، أعتق ضخم الكفين، غليظ الأصابع). (كتاب أسد الغابة)

ووصفه يعقوب بن عتبة فقال : (كان عبدالرحمن بن عوف رجلاً طويلاً،حسن الوجه، رقيق البشرة، فيه جنأ، أبيض مشرباً حمرة، لايغير لحيته ولا رأسه). (أورده الذهبي في سير النبلاء الجزء الأول)

وعندما تقدم به العمر أقبل عليه الشيب، فكان لايغيره، إبقاءً على دلائل صنع الحياة في أنها تأخذ من الإنسان وتدع له، فيكون شيبه دليل وقار.

روى زياد بن عبد الله البكائي، عن محمد بن إسحاق (أن عبدالرحمن بن عوف كان ساقط الثنيتين، أهمّ، أعسر، أعرج، وكان أُصيب يوم أُحد فهتم وجرح عشرين جراحة أو أكثر، أصابه بعضها في رجله فعرج). (أورده الذهبي في سير النبلاء، وعن ابن إسحاق)

وفي ظل ثرائه العريض وغناه الواسع، فقد أعطى لنفسه حظها ولم يبخل عليها، روى سعد بن إبراهيم قال : (كان عبدالرحمن بن عوف يلبس البرد أو الحلة تساوي خمس مئة أو أربع مئة). وكان يلبس عمامة سوداء تضفي عليه مزيداً من الجمال والبهاء. ومما يزيده سعادة وفخراً أن تلك

العمام قد عممه بها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأدارها على رأسه بيديه الشريفتين. وفي ذلك روى ابن سعد بن عبد الله ان عمرو قال : (رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم عمم عبدالرحمن بن عوف بعمامة سوداء، وقال :"هكذا تعمم"). (12868 : موقوف رواه أبو نعيم)

ورخص رسول الله صلى الله عليه وسلم لبس الحرير لعبدالرحمن عندما أصيب بحكة في جسمه، فاستأذن الرسول صلى الله عليه وسلم أن يلبس الحرير فأذن له. ففي الصحيحين عن أنس بن مالك قال : (رخص رسول الله صلى الله عليه وسلم للزبير بن العوام وعبدالرحمن بن عوف في لبس الحرير، لحكة كانت عليهما). (حديث صحيح رقمه 2076 رواه مسلم)

وتميز في الجاهلية بتحريمه الخمر على نفسه، فلم يشربها، وعرف عنه التواضع الشديد فلم يكن يعرف من بين عبيده.

• ألقابه وثناء الناس عليه

لقب بعدة ألقاب، فعرف بالأمين، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول له: "أنت أمين في أهل السماء وأمين في أهل الأرض ". (حديث مرفوع: 302)

وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: "عبدالرحمن بن عوف سيد من سادات المسلمين ". (قيل أنه من أقوال عمر بن الخطاب رضي الله عنه)

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصفه بالصادق البار، وعرف بحواري رسول الله.

وروي عن سعد بن إبراهيم عن أبيه قال : رأيت سعد بن أبي وقاص يحمل نعش عبدالرحمن عند قائمتي السرير، وهو يقول : واجبلاه ! واجبلاه!. وعنه أنه سمع علي بن أبي طالب رضي الله عنه يقول يوم مات عبدالرحمن : أذهب يابن عوف فقد أدركت وسبقت رتقها _ كدرها.

وروى أن عمرو بن العاص قال يوم وفاة عبدالرحمن : أذهب عنك ابن عوف، لقد ذهبت ببطنك ماتغضغض منها من شيء. (رواه ابن سعد في الطبقات)

وكان عمر رضي الله عنه يسمي عبدالرحمن : العدل الرضي.

وروى أن عوف بن مالك رأى في المنام قبة من أدم ومرجاً أخضر، وحول القبه غنم ربوض تجتر، وتبتعر العجوة، قال : قلت :لمن هذه القبة ؟ قيل : لعبدالرحمن بن عوف، قال فانتظرنا حتى خرج، قال : فقال : ياعوف، هذا الذي أعطانا الله بالقرأن. (رواه أبو نعيم في الحلية)

وروى عن المسور بن مخرمة _ ابن اخت عبدالرحمن _ قال : بينما أنا أسير في ركب بين عثمان، وعبدالرحمن بن عوف، وعبدالرحمن قدامي عليه خميصة سوداء، فقال عثمان: من صاحب

الخميصة السوداء؟ قالوا: عبدالرحمن بن عوف، فناداني عثمان : يامسور، فقلت : لبيك يا أمير المؤمنين، فقال : "من زعم أنه خير من خالك في الهجرة الاولى، وفي الهجرة الآخرة، فقد كذب". (1098 رواه أحمد بن حنبل في مسنده في فضائل الصحابة، فضائل عبدالرحمن بن عوف)

وعن ابن إسحاق قال : حدثنا صالح بن إبراهيم بن عبدالرحمن بن عوف : كنا نسير في طريق، إذ رأى عبدالرحمن، فقال عثمان : مايستطيع أحد أن يعتد على هذا الشيخ فضلاً في الهجرتين جميعاً.

ومن المواقف التي تدل على سمو أخلاقه وتسامحه، وحبه للخير والبر، أنه كانت بينه وبين طلحة جفوة وتباعد، فمرض طلحة، فجاء عبدالرحمن يعوده، فقيل له: أبو محمد، عبدالرحمن بالباب، قال : أو قد جاء على ما بيننا ؟! فلما دخل قال له طلحة: أنت والله خير مني، فقال له عبدالرحمن: لا تفعل يا أخي، فقال: بلى والله أنت خير مني، لأنك لو كنت المريض ما عدتك. (البداية والنهاية لابن كثير)

• أزواج عبدالرحمن بن عوف وأولاده

تزوج عبدالرحمن بن عوف من زوجات عدة، وبارك الله له في ذريته فخرج من أولاده وأحفاده عدد من العلماء والوجهاء

أزواجه

1 - أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط

2- سهلة بنت سهيل بن عمرو

3- أم كلثوم بن عتبة بن ربيعة

4- حبيبة بنت جحش أخت زينب أم المؤمنين

5- بادية بنت غيلان بن سلمة الثقفية

6- بحرية بنت هانئ بن قبيصة، من بني شيبان

7- بنت شيبة بن ربيعة بن عبد شمس

8- أسماء بنت سلامة بن مخرمة الدارمية

9- تماضر بنت الأصبع الكلبية

10- سهلة بنت عاصم بن عدي الأنصارية

11- أم حكيم بنت قارط، من بني ليث حلفاء بني زهرة

12- بنت أبي الحيس أنس بن رافع الأنصارية

13- مجد بنت يزيد بن سلامة الحميرية

14- غزال بنت كسرى، من سبي المدائن

15- زينب بنت الصباح، من سبي بهراء

16- أم حريث، من سبي بهراء

17- تماضر بنت الأصبع من سبي بن كلب

وهكذا ترى تعدد زوجاته وأغلبهن قرشيات، وكان لهذه المصاهرات الأثر في إقامة علاقات تجارية واقتصادية، علاوة على توطيد العلاقات. وبالتالي أنعكس ذلك على العلاقات الاجتماعية، حتى أن عثمان بن عفان شاركه في التجارة وذلك لما يتمتع به عبدالرحمن بن عوف من علاقات.

أبناؤه

اختلفت الروايات حول عدد أبناؤه وإن كان أكثر أولاده من زوجاته من بني عبد شمس بن عبد مناف. ومن أودلاه الذكور :

إبراهيم، إسماعيل، أبو سلمة، حميد، عمر، مصعب، محمد، سالم الأكبر، سالم الأصغر، عبد الله الأكبر، عروة، سهيل الأبيض، زيد، عبدالرحمن، عثمان، أبو عثمان عبد الله، القاسم، معن، أبو بكر، عروة، بلال، يحيي.

وقد برز منهم العلماء والأئمة ورواة الحديث.

بناته

أم القاسم، أم يحيي، جويرية، حميدة، آمنة، مريم، أمة الرحمن الكبرى، أمة الرحمن الصغرى.

أصهاره

1- يزيد بن أبي سيفان، زوجته فاختة بنت عبدالرحمن بن عوف

2- عبد الله بن عباس بن عبد المطلب، زوجته صعبة بنت عبدالرحمن بن عوف

3- يحيي بن الحكم بن أبي العاص، زوجته أم القاسم الصغرى

4- عبد الله الأكبر بن عثمان بن عفان، زوجته أم الحكم بنت عبدالرحمن بن عوف

5- عمر بن عبد الله بن عوف، زوجته أم يحيي بنت عبدالرحمن بن عوف

6- عبدالله بن الأسود بن عوف، زوجته حميدة بنت عبدالرحمن بن عوف

7- المسور بن مخرمة، زوجته جويرية بنت عبدالرحمن بن عوف

8 - إبراهيم بن قارض بن خالد الكناني، زوجته آمنه بنت عبدالرحمن ثم مريم بنت عبدالرحمن

9- أبو عبيدة بن عبد الله بن عوف، زوجته أمة الرحمن بنت عبدالرحمن بن عوف

وبذلك كانت مصاهرة عبدالرحمن بن عوف لأبناء عبد مناف وخاصة بني شمس دليل على مكانة بني زهرة الاجتماعية المرموقة في الإسلام، دليل على استمرارية هذه العلاقة بينهم. (الطبقات لابن سعد، والإصابة في تمييز الصحابة)

• إسلام عبدالرحمن بن عوف

كان عبدالرحمن بن عوف من أوائل من أسلموا مع بداية الدعوة، وأنضم مع جماعة المسلمين إلى مدرسة الإسلام الأولى في دار الأرقم، التي تمثل دار الدعوة وضمت من الشباب من حملوا على عاتقهم مؤازرة الرسول صلى الله عليه وسلم ومناصرته، وتحمل أعباء الدعوة وتبليغ الرسالة، فهجروا آلهة الآباء والأجداد، وأصبحوا جند الدعوة الإسلامية وألقوا السمع والطاعة للرسول الكريم حتى لو كلفهم الأمر راحتهم وحياتهم.

ومن أهم أسباب سرعة استجابة عبدالرحمن لدعوة الإسلام والإيمان استعداده الفطري، فكان ممن حرم على نفسه الخمر فلم يشربها في جاهلية ولا إسلام، ومن هنا فقد وافقت دعوة الإسلام وأحكامه هوى نفسه فأقبل عليها طائعاً مسرعاً.

ومما يذكر عن عبدالرحمن أنه في أثناء رحلاته التجارية بين اليمن والشام كان يمر على العُبَّاد من أهل الكتاب، والحنفاء، وليسمع منهم البشارة بقرب ظهور نبي آخر الزمان. ومن هذا أنه سافر إلى اليمن قبل بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم بسنة، ونزل على عكلان من عواكن الحميري، وكان شيخاً كبيراً، وكان كلما نزل عنده من قبل يسأله: هل ظهر فيكم رجل له نبه _ له ذكر _ هل خالف أحد منكم عليكم في دينكم ؟ فيقول له عبدالرحمن : لا !.

فلما وافاه في المرة الأخيره قال له: ألا أبشرك ببشارة هي خير لك من التجارة ؟ فقال عبدالرحمن : بلى ! فقال: إن الله بعث في قومك نبياً، ينهى عن الأصنام، ويدعو إلى الإسلام. عجل الرجعة. قال عبدالرحمن: فأسرعت في قضاء حوائجي، وقدمت مكة، وأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأسلمت.

وما أن أعلن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعوته حتى آمن أهل بيته، وأمن الصديق أبو بكر، وكان لدى أبو بكر ما يؤهله للدعوة، فكان رجلاً مألفا لقومه، محبباً سهلاً، ذا خلق معروف، ويألفه قومه لعلمه وتجارته وحسن مجالسته. فجعل يدعو إلى الإسلام من وثق به من قومه ويجلس إليه، فأسلم بدعائه عثمان بن عفان، والزبير بن العوام، وعبدالرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص، وطلحة بن عبيدالله.

فكان هؤلاء الخمسة الأبطال أول ثمرة من ثمار أبو بكر، ودعاهم إلى الإسلام، وترك عبادة الأصنام التى لا تضر ولا تنفع، والإيمان بأن ليس لهذا الكون إلا إله واحداً وأنه أرسل إليهم رسولاً منهم، يبشرهم وينذرهم ويدلهم على طريق السيادة والسعادة في الدنيا و النجاة في الأخرة.

وجاء بهم أبو بكر إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأسلموا بين يديه، فكانوا الدعامات الأولى التي قام عليها صرح الإسلام ودعوته المباركة.

في تلك الساعه ولد عبدالرحمن ولادة جديدة، كما ولد بالإسلام كل واحد من الصحابة الكرام من جديد، ومنذ ذلك الحين لم يغب عبدالرحمن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، إلا في هجرته الثانية إلى الحبشة، وسماه رسول الرسول عبدالرحمن بعد أن كان اسمه عبد عمرو. وكان أحد العشرة المبشرين بالجنة، ومن الذين نالوا بالإسلام اللذة الباقية في الآخرة، ولكنهم نالوا به الألم في الدنيا، فاحتملوا راضين محتسبين. (الاستيعاب في معرفة الأصحاب، سير أعلام النبلاء، أسد الغابة، سنن النسائي، سنن الترمذي)

- **مناقبه وفضائله**

أكرم الله عبدالرحمن بن عوف بفضائل جليلة ومناقب رفيعة، فوفقه للإيمان والتصديق بنبيه صلى الله عليه وسلم، فكان واحداً من أسبق الثمانية إلى الإسلام. فهو رضي الله عنه من رعيل السابقين الذين كونوا الثلة المباركة من المؤمنين قبل دخول النبي صلى الله عليه وسلم دار الأرقم بن أبي الأرقم.

ومن مناقبه رضي الله عنه:

1- سبقه إلى الإسلام، واتباعه رسول الله عليه وسلم، في أقسى ظروف الدعوة، وتحمله الأذى في سبيل دينه وعقيدته. فكان من الذين حق فيهم قول الله تعالى "والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسن رضى الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجري تحتها الأنهار خلدين فيه أبداً ذلك الفوز العظيم " (التوبة : 100)

2- شهد غزوة بدر الكبرى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ونال بذلك موعد الله به أصحاب هذه الوقعة المباركة على لسان رسوله الكريم بمغفرة ذنوبهم السابقة واللاحقة والفوز بالجنة. وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي رواه الشيخان عن علي بن أبي طالب أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لعمر بن عمر الخطاب "ومايدريك لعل الله قد أطلع على أهل بدر فقال اعملوا ماشئتم فقد غفرت لكم". (صحيح حديث مرفوع رقمه 29 وله روايات عدة)

3- كان من أكابر المهاجرين الذين هاجروا إلى الحبشة وإلى المدينة المنورة، وأخرجوا من ديارهم ظلماً وعدواناً، وأوذوا في سبيل الله، وتركوا أموالهم وأوطانهم. فأنزل الله فيهم قوله سبحانه

" للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم واموالهم يبتغون فضلاً من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله اولئك هم الصادقون " (الحشر:8)

4- من مناقبه ما امتدح به رسول الله صلى الله عليه وسلم من يبر أزواجه الطاهرات، ويحسن إليهن، ويرعى شؤونهن، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "خيركم خيركم لأهلي بعدي" وقد كانت نفقات عبدالرحمن وهباته متصله إلى أمهات المؤمنين، حتى أن السيدة عائشة عندما جاءتها صلته، ذكرت حديث النبي صلى الله عليه وسلم "إن أمركن لمما يهمني بعدي، ولن يصبر عليكن إلا الصابرون" ثم قالت لأبي سلمة بن عبدالرحمن: (سقى الله أباك من سلسبيل الجنة). وبمثل ذلك دعت له أم المؤمنين أم سلمة رضى الله عنها. (حديث مرفوع رواه الحاكم في المستدرك كتاب معرفة الصحابة رقم 5359)

5- ويعتبر عبدالرحمن بن عوف في الصف الأول من الصحابة، الذين هم أفضل أصناف الصحابة فضلاً، وأعلاهم منزلة فأفضل الصحابة (الخلفاء الأربعة، ثم الستة الباقون إلى تمام العشرة، ثم البدريون ثم أصحاب أحد، ثم أهل بيعة الرضوان بالحديبية) ويلاحظ أن عبدالرحمن في كل صنف من هؤلاء.

6- وينطبق على عبدالرحمن بن عوف قول الله تعالى : (لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقتلوا وكلا وعد الله الحسنى والله بما تعملون خبير). (الحديد :10)

7- كان عبدالرحمن بن عوف من الصحابة الذين بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم، تحت الشجرة في بيعة الرضوان، وقد نزل فيهم الذكر الحكيم يشيد بهم ويبين رفعة منزلتهم، قال تعالى : (لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم مافي قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحاً قريباً) (الفتح :18)

8- في غزوة تبوك، حيث كان النبي صلى الله عليه وسلم في قضاء حاجته، وحضرت صلاة الفجر فقدم المسلمون عبدالرحمن وفي الناس أبو بكر وعمر، فصلى بهم، وجاء النبي صلى الله عليه وسلم، فأدركه في الركعة الثانية فصلى مع الناس الركعة الثانية، فلم قضى النبي صلى الله عليه وسلم صلاته أقبل عليهم وقال " أحسنتم". (رواه مسلم عن عروة بن المغيرة بن شعبة)

9- وهو من بين المبشرين بالجنة، في رواية عن سعيد بن زيد أنه قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم : ״عشرة من قريش في الجنة، أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعليّ، وطلحة، والزبير، وعبدالرحمن بن عوف ، وسعد بن مالك (بن أبي وقاص)، وسعيد بن زيد بن عمرو بن نُفَيل، و أبو عبيدة بن الجراح ״. (حديث مرفوع رقم 89)

10- عن يُسرة بنت صفوان: أن النبي صلى اله عليه وسلم سألها: "من يخطب أم كلثوم بنت عقبة؟"، قالت : فلان وفلان وعبدالرحمن بن عوف ، فقال "أنكحوا عبدالرحمن بن عوف، فإنه من خيار المسلمين ، ومن خيارهم من كان مثله". (أخرجه البخاري في التاريخ الصغير بإسناد جيد)

11- كان عبدالرحمن بن عوف من الستة أصحاب الشورى الذين جعل عمر الخلافة لهم من بعده قائلاً: (لقد توفي رسول الله وهو عنهم راض). وأشار الجميع إلى عبدالرحمن في أنه الأحق بالخلافة فقال: (والله لأن تؤخذ مدية فتوضع في حلقي، ثم ينفذ بها إلى الجانب الآخر أحب أليّ من ذلك). وفور اجتماع الستة تنازل عبدالرحمن عن حقه، وجعل الأمر بين الخمسة الباقين فاختاروه ليكون الحكم بينهم. وقال له علي بن أبي طالب: (لقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يصفك بأنك أمين في الأرض وأمين في السماء). (حديث مرفوع رقم 302) فاختار عبدالرحمن بن عوف عثمان بن عفان للخلافة فوافق على اختياره. وتلك شهادة له بثقة الأمه كلها بدينه وأمانته ورجاحة عقله وحسن اختياره.

- **رواياته عن رسول الله صلى الله عليه وسلم**

- في فضل تعلم القرأن والسنة

قال عبدالرحمن بن عوف أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "تيسير الفقه خير من كثير العبادة، وخير أعمالكم أيسرها". (الحديث مقطوع، رواه الطبراني وقال الحاكم لا يشتغل به)

- في قيام الليل

قال عبدالرحمن بن عوف : "سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم أي الليل أسمع ؟ قال: جوف الليل الآخر، ثم الصلاة مقبولة حتى تصلي الفجر، ثم لا صلاة حتى تكون الشمس قيد رمح أو رمحين، ثم لا صلاة حتى تغيب الشمس". قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: صلاة الهجير من صلاة الليل والهجير إذا زالت الشمس.

- عن صلاة السهو

قال عبدالرحمن بن عوف "سمعت رسول الله يقول: إذا شك أحدكم في الثنتين والواحدة فليجعلها واحدة، وإذا شك في الثنتين والثلاث فليجعلها ثنتين، وإذا شك في الثلاث والأربع فليجعلها ثلاثاً، ثم ليتم ما بقى من صلاته حتى يكون الوهم في الزيادة ثم يسجد سجدتين وهو جالس قبل أن يسلم". وقال أيضاً "أشهد أني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: إذا صلى أحدكم فشك في النقصان فليصل حتى يشك في الزيادة".

- في سبب تسمية العشاء

قال عبدالرحمن بن عوف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا يغلبنكم الأعراب عن إسم صلاتكم، فإنها في كتاب الله العشاء، وإنما سمتها العتمة من أجل إناتها لخلائها، وقيل سميت العتمة لإعتمام الإبل أحلابها ".

- في السرقة

قال عبدالرحمن بن عوف: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا يغرم السارق بعد القطع". (رواه النسائي وقال منقطع وقال أبو حاتم منكر)

- عن الرشوة

قال عبدالرحمن بن عوف : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : "الراش والمرتشي في النار ". وقال أيضاً" لعن الأكل والطعم الرشوة ". (رواه البزار)

- في فضل صيام شهر رمضان

قال عبدالرحمن بن عوف: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من قام رمضان إيماناً واحتساباً خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه". (رواه النسائي وابن ماجة)

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم "الصيام في السفر كالإفطار في الحضر، (رواه عبدالرازق) كما ذكر أن الرسول صلى الله عليه وسلم فضل شهر رمضان عن بقية الشهور.

- التحذير من حب المال

قال عبدالرحمن بن عوف: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: قال الشيطان لعنه الله: لن يسلم مني صاحب المال من إحدى ثلاث، أغدو عليه بهم وأروح بهم المال من غير حله، وإنفاقه في

غير حقه، وأحببه إليه فيمنعه من حقه". (حديث مرفوع)

- في حلف المطيبين

قال عبدالرحمن بن عوف: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "شهدت حلف المطيبين مع عمومتي وأنا غلام فما أحب أن لي حمر النعم وإني أنكثه " (حديث مرفوع ومروي في كثير من كتب الحديث والبداية والنهاية لابن كثير)

- عن الفتوحات

قال عبدالرحمن بن عوف: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إذا فتحت عليكم خزائن فارس والروم أي قوم أنتم ؟ قال عبدالرحمن بن عوف: نقول كما أمرنا الله، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أو غير ذلك تتنافسون، ثم تتحاسدون، ثم تتدابرون، ثم تتباغضون، أو نحو ذلك، ثم تنطلقون في مساكين المهاجرين فتجعلون بعضهم على رقاب بعض ". (حديث مرفوع رقم 3994)

- عن الأرض المطعونة

قال عبدالرحمن بن عوف : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إن هذا الوجع – أو هذا السقم _ عذابُ عُذب به من كان قبلكم، فإذا كان بأرض لستم بها فلا تهبطوا عليه، وإن كان بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فرارا منها". (حديث صحيح رواه البخاري، باب ما يذكر في الطاعون: رقم 5396)

- في فضل صلة الرحم

قال عبدالرحمن بن عوف: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "تنادي الرحم من تحت العرض، يارب صل من وصلني، وإقطع من قطعني". (حديث مرفوع رقم 85)

وقال سمعت عن رسول الله يحكي عن ربه عز وجل، قال: أنا الرحمن وهي الرحم اشتقت لها من اسمي فمن وصلها وصلته ومن قطعها قطعته". (رواه الترمذي وأبو داود وأحمد في المسند وصححه الترمذي والألباني)

وقال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "ثلاث تحت العرش يوم القيامة، القرآن يحاج العباد يوم القيامة له ظهر وبطن، والرحم تنادي ألا من وصلني وصله الله، ومن قطعني قطعه الله، والأمانة". (حديث مرفوع رواه مسلم)

- عن أهمية زيارة المريض

كان يقول إذا عاد مريضاً كما كان يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: "اللهم أذهب عنه ما يجد وآجره فيما ابتليته". (إسناد صحيح على شرط الإمام مسلم)

- في فضل الصدقة

قال عبد الرحمن بن عوف: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ثلاث والذي نفس محمد بيده إن كنت حالفاً عليهن: لا ينقص مال من صدقة فتصدقوا، ولا يعفوا عبد عن مظلمة يبتغي بها وجه الله عز وجل إلا رفعه الله بها عزاً يوم القيامة، ولا يفتح عبد باب مسألة، إلا فتح الله عليه باب فقر". (رواه أحمد في مسنده وهو صحيح لغيره)

- عن فضل تحرير العبيد

قال عبدالرحمن بن عوف: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أيما امرئ مسلم أعتق إمراءاً مسلماً فكاكه من النار، يجزى بكل عظم منه عظماً منه، وأيما إمرأة مسلمة أعتقت إمرأة مسلمة فهي فكاكها من النار، يجزي بكل عظم منها عظماً، وأيما امرئ مسلم أعتق أمرأتين مسلمتين، فهما فكاته من النار يجزي منها عظماً منه". (حديث له روايات متعددة)

• صفاته

زهده في الدنيا

اتصف عبدالرحمن بن عوف بزهده في الدنيا، عن سعد بن إبراهيم، عن أبيه: أن عبدالرحمن بن عوف – رضي الله عنه – أتي بطعام، وكان صائماً، فقال: قُتل مصعب بن عمير – رضي الله عنه – وهو خير مني كفن في بردة، إن غطى رأسه بدت قدماه، وإن غطى رجلاه بدا ظهر رأسه. وقال: قتل حمزة – رضي الله عنه – وهو خير مني، ثم بسط لنا منا الدنيا ما بسط، أو قال أُعطينا من الدنيا ما أُعطينا، وقد خشينا أن تكون حسناتنا عجلت لنا، ثم جعل يبكي حتى ترك الطعام.

زهده في الإمارة والخلافة

سارع عبدالرحمن بن عوف إلى بيعة الصديق بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكذلك بيعة عمر، ولما توفي عمر وجعل الأمر شورى بين ستة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، واختلف الأصحاب فيما بينهم، فخرج عبدالرحمن طائعاً من الأمر على الرغم من تقديم كثير من الناس عبدالرحمن على غيره من أصحابه، ولكنه كان يكره ذلك، ويزهد فيه، خشية حسابه. وقال في ذلك: "والله لأن تؤخذ مدية فتوضع في حلقي، ثم يُنفذ بها إلى الجانب الآخر أحب إلي من ذلك".

وعن عبدالرحمن بن أزهر ان عثمان بن عفان اشتكى رعافاً فدعى حمران فقال: اكتب لعبدالرحمن العهد من بعدي، فكتب له، فانطلق حمران إلى عبدالرحمن، فقال: لي البشرى، قال: لك

البشرى، ما ذاك ؟ قال : إن عثمان قد كتب لك العهد من بعده. فقام بين القبر والمنبر، فدعا، فقال: اللهم إن كان من تولية عثمان إياي هذا لأمر، فأمتني قبله. فلم يمكث إلا ستة أشهر حتى قبضه الله.

وهكذا اجتهد عبدالرحمن بن عوف في اختيار الأصلح لخلافة المسلمين، وابتعد عنها فسلم من فتنتها.

تواضعه

عن سعد بن الحسن التميمي، قال: كان عبدالرحمن بن عوف لا يُعرَف من بين عبيده. يعني من التواضع في الزي. وكان في ذلك يبتغي وجهه الله مصداقاً لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم "من ترك اللباس تواضعاً لله، وهو يقدر عليه، دعاه الله يوم القيامة على رؤوس الخلائق، حتى يخيره من أي حلل الإيمان شاء يلبسه". (رواه الترمذي رقم 2481 وحسنه أحمد رقم 15631 والحاكم رقم 7372 عن سهل بن معاذ وصححه الحاكم وحسنه الألباني)

ومن أنصع الأدلة على تواضع عبدالرحمن بن عوف هو زواج بلال بن رباح الحبشي من هالة بنت عوف القرشية، اخت عبدالرحمن الثري، الحسيب، النسيب. الذي ينتمي إلى أعظم وأعز القبائل ولكنه لم يتردد في زواج اخته من بلال لقوة إيمانه وليس لشكله كما أنهم جميعاً تربوا على سنة الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم الذي يقول عن العصبية "دعوها فإنها منتنة". (رواه البخاري ومسلم ومسند أحمد).

العفة

من أهم ما يميز شخصية عبدالرحمن بن عوف عفته، وظهر ذلك جلياً عندما آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بينه وبين سعد بن الربيع. فقال له: إن لي مالاً فهو بيني وبينك شطران، ولي أمرأتان فانظر أيهما أحب إليك فأنا اطلقها فإذا حلت فتزوجها، فقال عبدالرحمن بن عوف: بارك الله لك في أهلك ومالك. وطلب منه أن يدله على السوق ليكسب من عمل يديه. (رواه البخاري في صحيحه).

التسامح

من أهم الصفات التي أتسم بها عبدالرحمن بن عوف التسامح ومن المواقف الدالة على ذلك ما رواه ابن عساكر عن سعيد بن المسيب قال: (كان بين طلحة وعبدالرحمن بن عوف تباعد، فمرض طلحة، فجاء عبدالرحمن يعوده، فقيل له: أبو محمد عبدالرحمن بالباب، قال: أقد جاء على ما بيننا ؟! ليدخل. فلما دخل قال له طلحة أنت والله يا أخي خير مني، فقال له عبدالرحمن: لا تفعل يا أخي، قال: بلى، والله أنت خير مني، لأنك لو كنت المريض ما عدتك، وهذه هي الأخلاق السامية فعبدالرحمن لم يقطع أخاه رغم ما كان بينه وبينه من تباعد، وهو ما قابلة طلحة بحب وثناء على موقف عبدالرحمن عندما جاء لعيادته. (رواه بن عساكر).

الفقه

كان عبدالرحمن بن عوف من أهل الفقه والفتوى، أخرج ابن سعد عن عبد الله بن نيار الأسلمي، عن أبيه قال : (كان عبدالرحمن بن عوف ممن يفتي في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر، وعمر، وعثمان بما سمع من النبي صلى الله عليه وسلم). (الحادي للفتاوى للسيوطي 155/1 – 156: تحقيق عبداللطيف حسن عبدالرحمن)

وذكر بن حزم الذين حُفِظت عنهم الفتوى من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهم على ثلاثة اقسام: المكثرون، والمتوسطون، والمقلون فيما روي عنهم من الفتيان، فمن المتوسطين : أبو بكر، وعثمان، وأنس، وأبوهريرة، وعبدالرحمن بن عوف، وآخرون.

ومن المواقف التي أفتى فيها عبدالرحمن، عن قبيصة بن جابر الأسدي – أحد فقهاء الكوفة _ قال : (كنت محرماً، فرأيت ظبياً فرميته فأصبته فمات، فوقع في نفسي من ذلك، فأتيت عمر بن الخطاب أسأله، فوجدت إلى جنبه رجلاً أبيض رقيق الوجه، فإذا هو عبدالرحمن بن عوف، فسألت عمر، فالتفت إلى عبدالرحمن بن عوف فقال: ترى شاه تكفيه ؟ قال : نعم، فأمرني أن أذبح شاه). (رواه عبدالرازق).

العلم والمشوره

كان عبدالرحمن بن عوف على درجة من العلم ورجاحة العقل مما أهله رضي الله عنه أن يكون بمثابة مستشار الدولة، فكان الفزع إليه فى الملمات وكان حلال الأزمات. ومن ذلك عندما استشاره أبوبكر الصديق في مسألة الخلافة من بعده. وكذلك استشاره عمر بن الخطاب في أمر من يوليه قيادة الجيش الفاتح إلى العراق وأخذ برأيه في تولية الأسد عادياً، سعد بن أبي وقاص، وكان في رأيه النجاح والنصر. كذلك استشاره عمر عندما انتشر مرض الطاعون في بلاد الشام، فقال عبدالرحمن بن عوف: إن عندي من هذا علما، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: إذا سمعتم به (أي بالمرض الساري) بأرض فلاتقدموا عليها، وإذا وقع بأرض وأنتم فيها فلاتخرجوا). (رواه البخاري).

الشجاعة

عُرف عن عبدالرحمن بن عوف الشجاعة ومن مواقف بطولته ما كان في يوم أحد، فقد كان من النفر القليل الذي ثبت مع النبي صلى الله عليه وسلم، ولم يفر كما فر غيره، وفي ذلك يقول الحارث بن الصمة : سألني رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد فقال: هل رأيت عبدالرحمن بن عوف ؟ فقلت : نعم رأيته إلى جنب الجبيل وعليه عسكر من المشركين فهويت إليه لأمنعه فرأيتك فعدلت إليك، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن الملائكه تمنعه" قال الحارث : فرجعت إلى عبدالرحمن فأجد بين يديه سبعة صرعى فقلت: ظفرت يمينك، أكل هؤلاء قتلت ؟ فقال : أما هذا لأرطاة بن شرحبيل، وهذان فأنا قتلتهم وأما هؤلاء فقتلهم من لم أره قلت: صدق الله ورسوله.

الإنفاق

رغم ان عبدالرحمن بن عوف كان رجلاً موسراً، وثرياً و لكن هذا الثراء لم يطغه ، فلم يتعالى على أحد أو يتكبر على مخلوق، بل ظل هذا المال الوفير الكثير في يده لم يجد إلى قلبه سبيلاً، فقد سلطه الله تعالى على هلكته بالحق وفي وجوه الخير، وكان رضي الله عنه يطوف في البيت الحرام ويقول: اللهم قني شح نفسي، وقد بكى حينما حضرته الوفاة و قال: أخشى أن أكون ممن

عجلت له طيباته في حياته الدنيا، و أخشى أن أحتبس على أصحابي بكثرة مالي ومن هذه النظرة السليمة للمال انطلق عبدالرحمن بن عوف رضي الله عنه يبذل الأموال الكثيرة بسخاء.

وقد اتخذت نفقات عبدالرحمن بن عوف ثلاثة أوجه: هي على الفقراء من قومه بني زهرة وغيرهم، وتجهيز المقاتلين، وعلى أمهات المؤمنين. عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: إن قافلة لعبدالرحمن بن عوف رضي الله عنه قد قدمت من الشام تحمل من كل شيء، وكانت سبعمائة بعير، فجعلها رضي الله عنها جميعها في سبيل الله. (رواه الترمذي).

عن أم بكر بنت المسور قالت: إن عبدالرحمن بن عوف باع أرضاً له من عثمان بن عفان رضي الله عنهما بأربعين ألف دينار، فقسمه على فقراء بني زهرة وفي المهاجرين و أمهات المؤمنين، قال المسور : فأتين عائشة بنصيبها فقالت من أرسل هذا ؟ فقلت: عبدالرحمن بن عوف، قالت: أما إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: لا يحنو عليكن بعدي إلا الصابرون، سقى الله عبدالرحمن بن عوف من سلسبيل الجنة. (أخرجه أرباب السنن الأربعة وهو صحيح).

ذكر البخاري في تاريخه من طريق الزهري قال أوصى عبدالرحمن بن عوف رضي الله عنه لكل من شهد بدراً بأربعمئة دينار، فكانوا مائة رجل وقد وصل عبدالرحمن بن عوف أزواج النبي صلى الله عليه وسلم بمال بيع بأربعين ألفاً. و أوصى رضي الله عنه بحديقة لأمهات المؤمنين بيعت بأربعمائة ألف درهم وكان عبدالرحمن بن عوف كثير العتق للارقاء فقد اعتق في يوم واحد وثلاثين رقبة. (أخرجه البخاري).

• وفاته

توفي عبدالرحمن بن عوف عام 32 هـ، وبلغ عمره حين وفاته 75 عاماً، ودفن بالبقيع بالمدينة المنورة. وأوصى بن عوف أن يدفن إلى جانب عثمان بن مظعون، وكانت عائشة بنت أبي بكر، قد عرضت عليه أن يدفن في بيتها، فقال لها " سمعتك تقولين إما وضعت خماري منذ دفن عمر بن الخطاب، فأكره أن أضيق عليك بيتك، ونتخذ من بيت رسول الله مقبرة، ولي بعثمان بن مظعون أسوة، فقد كنت عاهدته لئن هلكنا بأرض جميعاً لندفن بها".

وكان حين مرض، أغمى عليه، فأخذت زوجته أم كلثوم بالصراخ اعتقاداً منها أنه توفي، فقام مفزوعاً، يخبرهم أنه رأى رجلان غليظان يمسكان به، فلقيهما ملكان، قالا لهما: أين تأخذانه؟ قال الرجلان إلى العزيز الأمين، فقال لهما الملكان: اتركاه فإنه ممن سبقت له السعادة وهو في بطن أمه.

رثاه علي بن أبي طالب فقال: "إذهب ابن عوف، فقد أدركت صفوها، وسبقت رنقها أي بهاؤها، وقيل كدرها أي نكد العيش ". وقال عمرو بن العاص "إذهب عنك ابن عوف فقد ذهبت ببطنتك ما تغضغض منها من شيء"، وهذا كناية عن تسامحه، وكان يقول سعد بن مالك أو ابن وقاص: واجبلاه، وقيل كان يقول واخلاه.

وعندما حضرت عبدالرحمن بن عوف الوفاة، بكى بكاءاً شديداً، فلما سئل عن سبب بكائه قال : " إن مصعب بن عمير كان خيراً مني، توفي على عهد رسول الله ولم يكن له مايكفن به،وإن حمزة بن عبد المطلب كان خيراً مني، توفي على عهد رسول الله ولم يجد كفناً، وإني أخشى أن أكون ممكن عجلت له طيباته في حياته الدنيا، وأخاف أن أحبس عن أصحابي لكثرة مالي".

الفصل الثاني
دور عبدالرحمن بن عوف
في بناء الدولة الإسلامية

- دوره في بداية الدعوة الإسلامية.
- ملازمته لرسول الله صلى الله عليه وسلم.
- غزواته مع رسول الله صلى الله عليه وسلم.
- مواقف عبدالرحمن بن عوف مع أبي بكر الصديق.
- مواقف عبدالرحمن بن عوف مع عمر بن الخطاب.
- موقف عبدالرحمن بن عوف مع عثمان بن عفان.

• دوره في أيام الرسول صلى الله عليه وسلم

كان عبدالرحمن بن عوف من أوائل من أنضموا إلى ركب الدعوة الإسلامية المبارك في مدرسة الإسهلام الأولى في (دار الأرقم) التي كانت أصل (الصفا)، والتي ضمت من جوانبها أهل الصدق من شباب قريش وغير قريش والذين صارت أسماؤهم عناوين ضخمة، لفصول عظيمة في تاريخ الأمة.

وكان الخير كل الخير في هؤلاء يستسرون بدعوتهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يتبعون دينه، ويصدقون برسالته، ويهتدون بهدية ،ويؤازرونه ويحملون معه أعباء الدعوة الإسلامية ، فلا يتركون كلمة منه حتى يسمعوها، ويعوها، ويعملوا بها، ولا يلمسون رغبة له، حتى يسارعوا إلى تحقيقها. يدفعون بأنفسهم عن نفسه ، ويؤثرونه على الأهل والولد، حتى تعجبت قريش منهم فقالوا : _ ما رأينا أحداً يجل أحداً، كحب أصحاب محمد محمداً.

وهذا الحب من نوع خاص لأنه لما يامر به الله ورسوله، فنجد فيه إيثار طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم على هوى نفوسهم ومصالحهم، وترك ما يحبون لما يحب، واحتمال ما يكرهون لدرء مايكره.

وهذا هو الذي أراده رسول الله حين قال: "لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من أهله وولده ونفسه التي بين جنبيه". (رواه ابن إسحاق في قصة أبي سفيان مع زيد بن الدثنة).

فكان عبدالرحمن احد العشرة المبشرين بالجنة ، وكان الصحابة صفوة الناس، ولباب البشر، وكان هؤلاء العشرة صفوة الصفوة، ولباب اللباب. وقد نالوا بالإسلام اللذة الباقية في الآخرة ،ولكنهم نالوا به الألم في الدنيا، فاحتملوه راضين محتسبين.

ومن حكمته صلى الله عليه وسلم وحسن تدربيه وقيادته لأتباعه أن عمد إلى الاستخفاء بالدعوة والاستسرار بها في (دار الأرقم)،ولم يكن هذا الاختفاء ذلة وهرب، بل اختفاء استعداد وتدريب، وحتى ينأى بأصحابه قدر الطاقة عن وقوع العذاب الذي يتربص بهم من مجرمي قريش وسدنة الأصنام.

وأخذ الإسلام ينتشر عزيزاً مترسلاً، يزداد على مهل ، كأشعة الضوء عند الفجر، والمؤمنون يتزايدون يوماً بعد يوم، وشجرة الإسلام تنمو وتضرب بجذورها في أرض راسخة. وانتشر الإسلام، وتسامع به الناس في أنديتهم وأنضم إلى مدرسة الأرقم رجال وشباب ونساء.

فلما اكتلموا بالإسلام أربعين فرداً بإسلام عمر بن الخطاب ، ابيض الأفق بالضوء، وظهرت تباشير النهار. عرض أبو بكر الصديق على النبي صلى الله عليه وسلم الظهور والاستعلان أمام قريش، وألح عليه، فاستجاب فكان ذلك صفعة قوية لقريش ونقطة تحول في تاريخ الدعوة.

في هذا الوقت جن جنون قريش واستشاط سدنة الأصنام غضباً وغيظاً من هذا الدين الذي سيهدم دين الآباء والأجداد، فبدأوا يلوحون بسياط العذاب وتوجيه سهام البلاء في حرب خسيسة على المسلمين، وهنا طلب عدد من الصحابة ومن بينهم عبدالرحمن بن عوف أن ياذن لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتال المشركين بسبب تعرضهم لكثير من الأذى فقالوا : " يارسول الله إنا كنا في عز ونحن مشركون فلما آمنا صرنا أذلة، فقال: إني أُمرت بالعفو فلا تقاتلوا "، فلما تمت الهجرة إلى المدينة ، أُمروا بالقتال فكفُّوا، فأنزل الله عز وجل " ألم تر إلى الذين قيل لهم كفوا أيديكم وأقيموا الصلاة" (النساء : 77). وبذلك كان موقف المسلمين من هذه الحرب موقف الصفح والصبر والاحتمال.

شعر النبي صلى الله عليه وسلم بالشفقة على أصحابه بسبب ما ينالهم من شديد الأذى والبلاء وهو لايستطيع أن يصد هذا البلاء عنهم، وهنا بزغت في الأفق بارقة أمل في فرج لهذا الكرب متمثلة في الهجرة إلى الحبشة لمن يريد من المسلمين، ليأمنوا على أنفسهم ويبلغوا الدعوة التي حملوا شرف مسؤوليتها.

وخاطب النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه: "لو خرجتم إلى أرض الحبشة، فإن بها ملكاً لايُظلم عنده أحد، وهي أرض صدق، حتى يجعل الله لكم فرجاً مما أنتم فيه". (رقم الحديث 454

حديث مرفوع رواه ابن إسحاق).

وكان عبدالرحمن بن عوف أحد رجال هذه الهجرة. في صحبة مجموعة من أعز بيوت العرب وقبائلها المعروفين بالحسب والنسب أمثال: جعفر بن أبي طالب، وعثمان بن عفان، والزبير بن العوام، ومصعب بن عمير. ومن ذلك يتضح أن هؤلاء المهاجرين في هجرتي الحبشة الأولى والثانية كان بمقدورهم أن يتجمعوا ويقفوا في وجه العدوان. لكن إرادة الله قضت أن يتجملوا بالصبر.

فانطلق هؤلاء إلى الحبشة يحملون معهم إيمانهم ودعوتهم، وليس فراراً لضعف، ولا هرب وخوف. ولكن كان الهدف البعد عن مواطن الفتنة والتمسك بالصبر في سبيل نشر الدعوة الإسلامية بعيداً عن المضايقات والمشاحنات مما يؤثر على روحهم المعنوية ويشغل النبي صلى الله عليه وسلم على سلامة أصحابه وعلى مسيرة الدعوة وانتشارها.

عزم بعض المهاجرين على العودة إلى مكة المكرمة، وأقاموا بها حتى عقد النبي صلى الله عليه وسلم مع الأنصار بيعتي العقبة، وأذن الله لنبيه صلى الله عليه وسلم بالهجرة إلى المدينة. فوجه أصحابه إليها. وكان عبدالرحمن بن عوف من هؤلاء الذين عادوا من الحبشة ليقف بجانب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو العهد الذي قطعه على نفسه وتمسك به منذ أن أسلم وهو لا يفارق رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا يتخلف عنه في أي موقف من المواقف، ولم تتوان همته عن نصرة الدين. وفي هذا روى يعقوب بن إبراهيم بن سعد عن أبيه: "أن عبدالرحمن بن عوف كان يقال له: حواري رسول الله صلى الله عليه وسلم".

وذكر يعقوب بن سفيان الفسوي أسماء حواريي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: (حمزة، جعفر، علي، ابو بكر، أبوعبيدة، عثمان بن عفان، عثمان بن مظعون، عبدالرحمن بن عوف، سعد بن ابي وقاص، طلحة بن عبيدالله، الزبير بن العوام، رضي الله عنهم).

وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه بين يديه، فانطلقوا مهاجرين إلى المدينة، وهاجر عبدالرحمن بن عوف وإخوانه مخلفين دورهم، مفارقين أوطانهم، ونأوا بأجسادهم وقلوبهم، لأن الرسول صلى الله عليه وسلم علمهم أن الأرض كلها لله يورثها لعباده الصالحين.

وكان لهم ما أرداوا وقطعت الدعوة شوطاً كبيراً وفتح الله للمسلمين بلداً جديداً أخذ أهله على عاتقهم نصرة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، فقويت شوكة المسلمين وعاون الأنصار المهاجرين في إقامة أركان الدولة الإسلامية. ولحق النبي بـأصحابه مهاجراً إلى المدينة وبنى المسجد الذي شكل اللبنة الأولى في ترسيخ دعائم المجتمع الإسلامي.

دخل المهاجرون المدينة، فما اعتبرهم أهلها دخلاء، ولاعدوهم، بل فتحوا لهم دورهم وقلوبهم، وشملوهم بالرعاية الصادقة والحب الأخوي الذي خفف عنهم ما وقع بهم من بلاء في مكة. ثم وضع الرسول صلى الله عليه وسلم الدعامة الثابتة لبناء المجتمع على التضحية والفداء للحفاظ على العقيدة ونشر الدعوة.

وآخى الرسول صلى الله عليه وسلم بين كل اثنين، فكان اخا عبدالرحمن بن عوف (المهاجر) سعد بن الربيع (الأنصاري)، فلم يكف سعداً ان أنزله في بيته، وأكرمه بضيافته حتى قال: إني أكثر الأنصار مالاً، ولو قسمت مالي نصفين، فخذ أفضلهما يكن خالصاً لك، وإن لي زوجتين فاختر منهما خيرهمنا عندك، أطلقها وتتزوجها أنت، بعدما تقضي عدتها.

فقال عبدالرحمن بن عوف: لا حاجة لي في ذلك، هل من سوق فيه تجارة؟ قال: سوق قينقاع. ودخل عبدالرحمن بن عوف السوق وهو لا يملك سوى الهمة والعزيمة في تحقيق النجاح، والوصول إلى الهدف. وكان عزمه في دراسة السوق عندما سأل سعد بن الربيع عنه، وأخذ يتجول في السوق ويعرف ما يحتاجه الناس. وحتى تكون لديه الدراهم التي يبدأ بها تجارته، قام بشراء الحبال وصناعة عقال البعير وبيعه في حرفة مهنية باليد. لذا لم يعتمد على الكلام في التجارة وإنما بدأ بعمل يده، وهو موقن بأن الله يحب اليد التي تعمل.

وبعد أن توفر لديه المال استطاع شراء بعيراً حتى يحمل عليه البضائع والاحتياجات وبذلك كانت بدايته مع النقل كباب من أبواب التجارة وعندما اكتملت لديه الفكرة وتفتحت مداركه على احتياجات السوق شرع في تكوين علاقات مع أعراب المدينة وكذلك الذين يعيشون خارج المدينة وبدأ في شراء ما يصنعونه من اللبن والجبن وغيره بحيث يشتري منهم بالأجل ويبيعه في سوق المدينة. وبذلك استطاع عبدالرحمن بن عوف ممارسة التجارة من أبواب مختلفة.

وهكذا إذا تم أخذ نموذج عبدالرحمن بن عوف في تنوع أبواب التجارة وأساليبها نستطيع مقارنته بما هو قائم اليوم في القطاعات التجارية الضخمة من الصناعة، والنقل، والاستيراد والتصدير. وبذلك يقدم عبدالرحمن نموذجاً يحتذى لمن يرغب في بداية نشاطه التجاري دون خوف أو تردد متسلحاً في ذلك بما أنعم الله عليه من ذكاء ومعرفة.

وهنا يضرب سعد أروع الأمثلة في الإيثار، ويقدم عبدالرحمن بن عوف نموذجاً للمسلم الحق الذي يريد أن يعيش بكده، ويغنى بعمله، ولا يكون كلاً على أحد.

ومالبث ان جاء عبدالرحمن وعليه أثر زعفران. قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: مهيم

قال: تزوجت امرأة.

قال: فما أصدقتها؟

قال:وزن نواة من ذهب.

قال: أولم ولو بشاة.

• ملازمته لرسول الله صلى الله عليه وسلم

لزم عبدالرحمن بن عوف رسول الله صلى الله عليه وسلم، في حله وترحاله، وكان أحد الثمانية الذين سبقوا إلى الإسلام، وأحد العشرة المبشرين بالجنة، هاجر الهجرتين، وكان من أفاضل المهاجرين.

قال المسور بن مخرمه: كنت في ركب بين عثمان وعبدالرحن بن عوف، وعبدالرحمن قدامي عليه خميصة سوداء فقال عثمان :

- من صاحب الخميصة السوداء؟

قالوا: عبدالرحمن بن عوف.

قال: فناداني عثمان ، فقال يامسور

قلت: لبيك يا أمير المؤمنين.

قال: من زعم أنه خير من خالك في الهجرة الأولى، وفي الهجرة الآخرة فقد كذب. (حديث موقوف رقم 1098 مسند الإمام أحمد).

كان عبدالرحمن واحداً من أشد المقربين إلى رسول الله وأمتدت مصاحبته للرسول صلى الله عليه وسلم ما يقرب من عشرين سنة فنال شرف التلقي عنه والاقتداء به، والسعادة بمؤازرته في بناء الدولة ونشر الدعوة. فقربه النبي صلى الله عليه وسلم، ورفع مكانته، وأطاب الثناء عليه، وتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو راض عنه.

أخرج الإمام أحمد عن عبدالرحمن بن عوف قال: "خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فتوجه نحو صدقته، فدخل فاستقبل القبلة، فخر ساجداً فأطال السجود، حتى ظننت أن الله عز وجل قد قبض نفسه فيها، فدنوت فجلست، فرفع رأسه فقال: "من هذه؟" قلت: عبدالرحمن، قال "ما شأنك"؟ قلت : يا رسول الله ، سجدت سجدة خشيت أن يكون الله عز وجل قد قبض نفسك فيها! فقال: " إن جبريل عليه السلام أتاني فبشرني فقال: إن الله عز وجل يقول: من صلى عليك صليت عليه، ومن سلم عليك سلمت عليه، فسجدت شكراً لله عز وجل". (رواه الإمام أحمد في مسنده).

وكان عبدالرحمن بن عوف رضي الله عنه يصحب النبي في زيارة أصحابة، وعيادة من مرض منهم، وكان لعبدالرحمن في ذلك الاستفادة الكبرى فيتعلم منه، ويحفظ حديثه ويروي للناس مواقفه معه.

أخرج الشيخان، عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال : "اشتكى سعد بن عبادة شكوى له، فأتاه النبي صلى الله عليه وسلم يعوده مع عبدالرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص وعبدالله بن مسعود رضي الله عنهم، فلما دخل عليه فوجده في غاشية من أهله، قال: "قد قضى" ؟ رأى القوم بكاء النبي صلى الله عليه وسلم بكوا. فقال: "ألاتسمعون. إن الله لا يعذب بدمع العين، ولا بحزن القلب، ولكن يعذب بهذا – وأشار إلى لسانه _ أو يرحم. وإن الميت يعذب ببكاء أهله عليه". (حديث صحيح رواه البخاري ومسلم وغيرهما).

ونظراً لما علمه رسول الله صلى الله عليه وسلم من حسن أخلاق عبدالرحمن بن عوف وصدق إيمانه وسمو شمائله فقد ازداد ثناءً عليه، وجعل من بعض مواقفه مثلاً يحتذى به.

أخرج عبدالرازق وابن عساكر عن عبيدالله بن عبدالله بن عتبة بن مسعود (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطى رهطاً فيهم عبدالرحمن بن عوف، فلم يعطه معهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، فخرج عبدالرحمن يبكي، فلقيه عمر بن الخطاب فقال: ما يبكيك؟ فقال : أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم رهطاً وأنا معهم، وتركني ولم يعطني، فأخشى أن يكون منع رسول الله صلى الله عليه وسلم موجدة وجدها علي! قال: فدخل عمر على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره عن عبدالرحمن بن عوف وما قال، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ليس بي سخط عليه، ولكني وكلته إلى إيمانه"). (حديث مرفوع رقم 49)

وروى ابن نعيم وابن عساكر وغيرهما: (أن رجلاً قرأ عند النبي صلى الله عليه وسلم وكان لين الصوت أو لين القراءة، فما بقى أحد من القوم إلا فاضت عينه غير عبدالرحمن بن عوف، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن لم يكن عبدالرحمن بن عوف فاضت عينه فقد فاض قلبه"). (حديث مرفوع رقم 182 رواه أبو نعيم في الحلية).

روى ابن سعد عن عبدالله بن عتبة: (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم خط الدور بالمدينة ، فخط لبنى زهرة في مؤخر المسجد، فكان لعبدالرحمن بن عوف الحش، والحش نخل صغير لا يسقى). (رواه بن سعد في الطبقات).

ومن المناقب التي نالها عبدالرحمن بن عوف من صحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الرسول صلى خلفه، أخرج مسلم وأحمد والنسائي وأبو داود وابن ماجه وابن حبان، وغيرهم، عن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه، (أنه غزا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم تبوك، قال المغيرة : فتبرز رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل الغائط، فحملت معه إداوة قبل صلاة الفجر، فلما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلي أخذت أهريق على يديه من الإداوة، وغسل يديه ثلاث مرات، ثم غسل وجهه، ثم ذهب يخرج جبته عن ذراعيه فضاق كما جبتيه، فادخل يديه في الجبة ، حتى أخرج ذراعيه من أسفل الجبة وغسل ذراعية إلى المرفين، ثم توضأ على خفيه، ثم أقبل.

قال المغيرة: فأقبلت معه، حتى نجد الناس قد قدموا عبدالرحمن بن عوف فصلى لهم، فأدرك رسول الله صلى الله عليه وسلم إحدى الركعتين فصلى مع الناس الركعة الآخرة، فلما سلم عبدالرحمن بن عوف قام رسول الله صلى الله عليه وسلم يتم صلاته فأفزع ذلك المسلمين، فأكثروا التسبيح، فلما قضى النبي صلى الله عليه وسلم صلاته أقبل عليهم ثم قال : "أحسنتم"، أو قال : " قد أصبتم " يغبطهم أن صلوا الصلاة لوقتها. (أخرجه الإمام مسلم في صحيحه وأحمد في سنده والنسائي في صحيحه).

وكان عبدالرحمن بن عوف أمين رسول الله صلى الله عليه وسلم على نسائه، لأنه كان يقوم بشؤون أمهات المؤمنين رضي الله عنهن، والحج بهن، وإغداق النفقات عليهن، ووصلهن بجزيل الأموال، والوصية لهن بعد موته كذلك بأموال طائلة. ومن الأحاديث الدالة على ذلك ما أخرجه أحمد والترمذي وابن حبان والحاكم وغيرهم، عن أبي سلمة بن عبدالرحمن بن عوف، عن عائشة رضي

الله عنها: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول : " إن أمركن لمما يهمني بعدي ، ولن يصبر عليكن بعدي إلا الصابرون".

قال: ثم تقول : فسقى الله أباك من سلسبيل الجنة. تريد عبدالرحمن بن عوف ، وكان قد وصل أزواج النبي صلى الله عليه وسلم بأربعين ألفاً".

وفي آخر حجة لعمر بن الخطاب سنة ثلاث وعشرين للهجرة، أرسل إليه أزواج النبي صلى الله عليه وسلم ليستأذنه في الخروج، فأذن لهن، وأمر بجهازهن فحملن على الهوادج عليهن الأكسية الخضر، وبعث معهن عبدالرحمن بن عوف وعثمان بن عفان. فكان عثمان يسير على راحلته أمامهن فلا يدع أحداً يدنو منهن، وكان عبدالرحمن يسير على راحلته من ورائهن ، فلا يدع أحداً يدنو منهن، ينزلن مع عمر كل منزل.

وبقى عبدالرحمن بن عوف على موالاته للنبي صلى الله عليه وسلم، والالتزام بأوامره، والتفاني في خدمته وإجلاله، حتى اللحظات الأخيرة من عمره المبارك الشريف. ولم يفت عبدالرحمن بن عوف شهود اللحظات الأخيرة للرسول صلى الله عليه وسلم رغم رهبتها وجلالتها، فكان أحد الذين ألقوا النظرة الأخيرة على جسد النبي صلى الله عليه وسلم الطاهر، وحمله بين يديه، وشارك في دفنه. وفي ذلك تجديداً للعهد على الالتزام بالسير على منهج رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وهكذا فإن صحبة عبدالرحمن بن عوف للنبي صلى الله عليه وسلم كانت تضيف لابن عوف في كل موقف رصيداً جديداً من الفضائل، ورسول الله صلى الله عليه وسلم أبر الناس، وأولى الناس بالبر صحابته وأنصاره وحواريوه، وعبدالرحمن بن عوف من الطليعة من هؤلاء فنال عظيم ثمار هذه الصحبة الطيبة في الدنيا، كما كان له

- ## غزواته مع النبي صلى الله عليه وسلم

كما حرص عبدالرحمن بن عوف على ملازمة رسول الله صلى الله عليه وسلم في صلواته وحجه، ومجالسه وتوجيهاته، كذلك دخل تحت لوائه في غزواته فلم يتخلف عن غزوة ولا سرية يبذل في ذلك الروح والمال وكل ما يملك في سبيل إعلاء كلمة الله، والذب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم نصرة لدينه ونشر رسالته. فسطر بذلك صفحات من نور على ثرى الجزيرة العربية.

في بدر

خرج المسلمون من المدينة إلى موقع (بدرٍ) يوم السبت لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر رمضان من السنة الثانية الهجرية، وكانت إِبِل المسلمين سبعين بعيرًا، فكانوا يتعاقبون عليها: البعير بين الرجلين والثلاثة والأربعة، فكان بين أبي بكر وعمر وعبدالرحمن بعير يعتقِبونه قال عبد الرحمن: عبأَنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بليلٍ، فصفنا، فأصبحنا ونحن علي صفوفنا. ونال عبدالرحمن بن عوف شرف المشاركة في تلك الغزوة الفاضلة التي شهدت بداية نهاية الوثنية بانتصار المسلمين على قريش. وخاض عبدالرحمن معمعة القتال مجاهداً تحت راية الحق.

ومن المواقف التي يذكرها عبدالرحمن بن عوف من هذه الغزوة يقول: بينما أنا واقِف في الصف يوم بدر ، فإذا أنا بين غلامين من الأنصار ، حديثة أَسنانهما ، فتمنيت أن أكون بين أَضلع منهما. فغمزني أحدهما فقال: يا عم! أتعرِف أبا جهل ؟ قلت: نعم، وما حاجتك إليه يا ابن أخي ؟ قال : أُنبِئتُ أنه يسب رسول الله صلى الله عليه وسلم، والذي نفسي بيده، لو رأيته لا يفارق سوادي سواده حتى يموت الأَعجل منا. وغمزني الآخَر، فقال مثلها، فلم أَلبَث أن نظرتُ إلى أبي جَهل يَجول في الناس، فقلت: ألا تريان! هذا صاحبكما الذي تسألان عنه، فابتدراه بسيفَيهما ، فضَرَباه حتى قَتَلاه، ثم

انصرفا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبَراه ، فقال : أيُّكما قَتَله ؟ فقال كُلّ واحد منهما: أنا قَتلته. قال: هل مسحتما سيفَيكما؟ قالا : لا. فنظر في السيفين فقال: كلاكما قَتله .(رواه البخاري ومسلم والإمام أحمد في مسنده وابن ماجة وغيرهم).

وقد استُشهد هذان البطلان الصغيران في بدر ، وهُما ابنا عفراء ، عَوْف بن الحارث الخَزرجيّ الأَنصاريّ ومعوذ بن الحارث الخزرجيّ الأنصاريّ.

ومن المواقف التي تعرض لها عبدالرحمن بن عوف في بدر أيضاً ويرويها ابن إسحاق وابن هشام في السيرة النبوية، يقول: كان أمية بن خلف لي صديقًا بمكة، وكان اسمي عبد عمرو، فتسميت حين أسلمت: عبد الرحمن، فكان يلقاني ونحن بمكة فيقول: يا عبد عمرو أرغبت عن اسم سماك أبوك؟ فأقول: نعم هداني الله للإسلام فتسميت عبد الرحمن. قال: إني لا أعرف الرحمن.

ومضت الأيام والأحداث بالاثنين.. بقي أمية بن خلف في مكة على شركه وأصنامه.. وهاجر عبد الرحمن بن عوف إلى المدينة.. ومارس التجارة بعد أن دلوه على سوق المدينة فصار أحد تجارها..

ويمضي عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه متحدثًا عن قصته مع أمية وهو في المدينة فيقول: كاتبت أمية بن خلف كتابًا: بأن يحفظني في صاغيتي بمكة وأحفظه في صاغيته بالمدينة. وفي رواية: "كان بيني وبين أمية بن خلف كتابٌ بأن يحفظني في ضياعي بمكة، وأحفظه في ضياعه بالمدينة، فلما ذكرت: الرحمن، قال: لا أعرف الرحمن، كاتبني باسمك الذي كان في الجاهلية، فكاتبته: عبد عمرو.

فلما كان يوم بدر ، مررت به وهو واقف مع ابنه عليٍّ وهو آخذ بيده، ومعي أدراع لي قد استلبتها فأنا أحملها، فلما رآني قال: عبد عمرو.. فلم أجبه، فقال: يا عبد الإله، فقلت: نعم، قال: هل لك فيَّ، فأنا خيرٌ لك من هذه الأدراع التي معك؟ قلت: نعم، ها الله.

فطرحت الأدراع من يدي وأخذت بيده وبيد ابنه، وهو يقول: ما رأيت كاليوم قط، أما لكم حاجة في اللبن، ثم خرجت أمشي بينهما، خرجت به إلى شعب لأحرزه حتى يأمن الناس". وتوجه الثلاثة إلى ذلك الشعب، ثم توجهوا إلى جبل .. فارتاحت نفس أمية بن خلف..

يا لها من أيام عصيبة تلك التي كانت تحمل في دقائقها الموت والحياة معًا لأمية.. اطمأن أمية فتحدث عن اللبن الذي سيشربه ابن عوف وأصحابه من نياق أمية التي سيفتدي نفسه وابنه بها..

واسترخت أعصابه فاسترسل في الحديث، وقال لعبد الرحمن بن عوف وهو يمشي: "بينه وبين ابنه آخذًا بأيديهما: يا عبد الإله: من الرجل منكم المعلم بريشة نعامة في صدره؟ قلت: حمزة. قال: ذاك الذي فعل بنا الأفاعيل"

وواصلوا المشي والمسير.. وفجأة دوت صرخة مرعبة من بعيد اتسعت لها عيون أمية وابنه.. صرخة قلبت أرض بدرٍ على رأس أمية من جديد.. صرخة من أعماق مضطهد لا تزال جراحه تلتهب..

يقول عبد الرحمن بن عوف: "فوالله إني لأقودهما إذ رآه بلال معي -وكان هو الذي يعذب بلال بن رباح بمكة على الإسلام- فلما رآه قال: رأس الكفر أمية بن خلف، لا نجوت إن نجا، قلت: أي بلال، أسيري. قال: لا نجوت إن نجا، ثم صرخ بأعلى صوته: يا أنصار الله رأس الكفر أمية بن خلف لا نجوت إن نجا"

فخرج حتى وقف على مجلس من الأنصار، فقال: أمية بن خلف، لا نجوت إن نجا أمية بن خلف، فخرج معه فريق من الأنصار في آثارنا فلما خشيت أن يلحقونا خلفت لهم ابنه لأشغلهم، فقتلوه، ثم أتوا حتى تبعونا، وكان رجلًا ثقيلًا فلما أدركونا قلت له: أبرك، فبرك، فألقيت عليه نفسي لأمنعه، فتخللوه بالسيوف من تحتي، فأحاطوا بنا حتى جعلونا في مثل المسكة، فأنا أذب عنه، فأخلف رجل بالسيف فضرب رجل ابنه فوقع، وصاح أمية صيحة ما سمعت بمثلها قط، قلت: انج بنفسك ولا نجاء، فوالله ما أغني عنك شيئًا، فهبروهما بأسيافهما حتى فرغوا منهما". "قتلوه وأصاب أحدهم رجلي بسيفه.".

يتذكر عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه ذلك مبتسمًا ويقول: "يرحم الله بلالًا، فجعني بأدراعي وبأسيري"

وانتهت قصة أمية الطويلة كما تنتهي قصص كثير من أمثاله الذين قضوا حياتهم في التعذيب والتنكيل. بمن يقع بين أيديهم من المؤمنين والضعفاء والمساكين..

وبشهود عبدالرحمن بن عوف غزوة بدر نال بذلك الوسام الرفيع، الذي رواه الشيخان وغيرهما عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، في قصة حاطب بن أبي بلتعة، وقد قال عمر للنبي صلى الله عليه وسلم : (دعني فلأضرب عنقه)، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (إنه شهد بدراً ، ومايدريك لعل الله أن يكون قد اطلع على أهل بدر فقال : اعملوا ماشئتم فقد غفرت لكم". (رواه البخاري ومسلم وغيرهما في فضائل أهل بدر).

في أُحد

كان لعبدالرحمن بن عوف في تلك المعركة مواقف جليلة تدل على بطولته وقوة إيمانه ورسوخه، ورباطة جأشه واستبساله في الدفاع عن دين الله. فبعد أن خالف الرماة تعليمات رسول الله صلى الله عليه وسلم وتركوا أماكنهم تحول النصر عن المسلمين وانقلبت الموازين وانهزم المسلمين.

في هذا الوقت ثبت رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه فئة قليلة في وجه العدو وكان من بينهم عبدالرحمن بن عوف، ولم تنته المعركة إلا وقد تركت آثار فتكها على جسمه، وقد جرح إحدى وعشرين جراحة، حتى تركته أعرجاً طيلة حياته.

وأثناء المعركة يتفقد رسول الله صلى الله عليه وسلم الصحابة، ويتحسس خبر عبدالرحمن بن عوف، ويعلم أن الملائكة تقاتل معه، وتقف بجانبه في مواجهة الأعداء.

روى البزار والطبراني وابن عساكر، عن الحارث بن الصمة قال: (سألني النبي صلى الله عليه وسلم يوم أُحد وهو في الشعب، قال : "هل رأيت عبدالرحمن بن عوف" ؟ فقلت: نعم، رأيته إلى جنب الجبيل، وعليه عكر من المشركين، فهويت إليه لأمنعه، فرأيتك فعدلت إليك، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن الملائكة تقاتل معه ". قال الحارث: فرجعت إلى عبدالرحمن بن عوف، فأجد بين يديه سبعة صرعى، فقلت : ظفرت يمينك !! أكل هؤلاء قتلت ؟ فقال : أما هذا – لأرطأة بن عبدشرحبيل _ وهذا فأنا قتلتهما، وأما هؤلاء فقتلهم من لم أره! فقلت : صدق الله ورسوله). (رواه البزار والطبراني بسند صحيح).

الحديبية وبيعة الرضوان

نال عبدالرحمن بن عوف ما امتن الله به على الصحابة بقوله تعالى (لقدر رضى الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم مافي قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحاً قريباً) (الفتح: آية 18). فقد خرج عبدالرحمن مع النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة الحديبية في السنة السادسة للهجرة ، وشهد على كتاب الصلح.

وقد أكد ذلك بيان الرسول صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح عند أحمد وأبي داود والترمذي وابن حبان، عن جابر بن عبدالله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا يدخل النار أحد ممن بايع تحت الشجرة". (حديث حسن صحيح رقم 3060 رواه الحافظ بن كثير وأخرجه أحمد في مسنده).

في غزوة الفتح

في السنة الثامنة من الهجرة جهز النبي صلى الله عليه وسلم جيشاً كبيراً لتاديب قريش على نقض العهد حيث ساعدوا حلفاءهم البكريين على حلفاء النبي صلى الله عليه وسلم الخزاعيين.

ولم يتأخر عبدالرحمن بن عوف عن المشاركة، لينال شرف المشهد ويعود إلى مكة ويجدد العهد بالكعبة المشرفة. وكان له في تلك الغزوة موقف يدل على أخلاق المرحمة.

عندما مر سعد بن عبادة، وكان يحمل الراية أمام الكتيبة، أمام أبي سفيان نادى: يا أبا سفيان، اليوم يوم الملحمة، اليوم تستحل الحرمة، اليوم أذل الله قريشاً. وعندما رأى أبوسفيان رسول الله صلى الله عليه وسلم ناداه: يارسول الله، أمرت بقتل قومك؟ زعم سعد ومن معه حين مر بنا فقال : يا أبا سفيان، اليوم يوم الملحمة، اليوم تستحل الحرمة، اليوم أذل الله قريشاً! وإني أنشدك الله في قومك، فأنت أبر الناس وأوصل الناس. قال عبدالرحمن بن عوف وعثمان بن عفان: يا رسول الله، ما نأمن سعداً أن يكون منه في قريش صولة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم "يا أبا سفيان، اليوم يوم المرحمة، اليوم أعز الله فيه قريشاً". وأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى سعد فعزله، وجعل اللواء إلى ابنه قيس بن سعد. (ابن هشام في السيرة النبوية حديث رقم 4030).

وكان هذا الموقف موقف مرحمة ورأفة بقريش، ودلالة على طيب النفوس التي رباها رسول الله صلى الله عليه وسلم، فحفظ بذلك الدماء ودخل الناس في دين الله أفواجاً.

غزوة تبوك

سميت هذه الغزوة بغزوة العسرة لأنها كانت تدريباً على أعتى أنواع المشاق التي أحاطت بالمسلمين من كل جانب. ففي السنة التاسعة من الهجرة بلغ النبي صلى الله عليه وسلم أن الروم يجهزون لغزوه، فبادر صلى الله عليه وسلم لتجهيز جيش لتأديبهم.

وكان ذلك الوقت شديد الحرارة علاوة على السفر البعيد وعدم توافر وسائل حمل السلاح وقلة المؤن من الطعام. وقام النبي صلى الله عليه وسلم يحض الجيش. وجاء المؤمنون بصدقات كثيرة ولم يضنوا في ساعة العسرة وأدخلوا السرور على قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وكان عبدالرحمن بن عوف من بين هؤلاء المتصدقين حيث تصدق بمئتي أوقية، حتى قال عمر بن الحطاب: يا رسول الله إني لا أرى عبدالرحمن ألا قد احتوب (أي ارتكب الإثم)، ما ترك لأهله شيئاً" فسأله رسول الله صلى الله عليه وسلم: (هل تركت لأهلك شيئاً"؟ قال: نعم؟، أكثر مما أنفقت وأطيب، قال: "كم"؟ قال: ما وعد الله ورسوله من الرزق والخير). (ابن هشام في السيرة النبوية، الجزء الثاني، غزوة العسرة).

ويقدر ما أنفقته عبدالرحمن بن عوف في ذلك بـ (24) كيلو جراماً من الذهب لأنه وضع مصلحة المسلمين ورفعة الدين فوق أي اعتبار، وهذا يدل على عطاء عبد مؤمن أخلص لله قلبه.

سرية عبدالرحمن بن عوف إلى دومة الجندل

دعا الرسول صلى الله عليه وسلم عبدالرحمن بن عوف فقال: "تجهز فإني باعثك في سرية من يومك هذا، أو من غد إن شاء الله، ثم أمره أن يسير من الليل إلى دومة الجندل فدعاهم إلى الإسلام، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعبدالرحمن: "ما خلفك عن أصحابك" وقد مضى أصحابه في السحر فهم معسكرون بالجرف وكانوا سبعمائه رجل من الصحابة، فقال أحببت يا رسول الله أن يكون آخر عهدي بك وعلي ثياب سفري، وعلى عبدالرحمن بن عوف عمامة قد لفها على رأسه، فدعاه النبي صلى الله عليه وسلم فاقعده بين يديه فنفض عمامته بيده، ثم عممه بعمامة سوداء فأرخى بين كتفيه منها ثم قال "هكذا فتعمم يا بن عوف فإنه أحسن وأعرف" ثم أمر بلالاً أن

يدفع اللواء، فدفعه إليه فحمد الله وصلى على نفسه ثم قال "خذه يا بن عوف، اغزوا جميعاً في سبيل الله".

فأخذ عبدالرحمن اللواء، وخرج حتى لحق بأصحابه، فسار حتى قدم دومة الجندل، فلما حل بهم دعاهم إلى الإسلام، فمكث ثلاث أيام يدعوهم إلى الإسلام، وقد كانوا أبوا أول ما قدم ألا يعطوا إلا السيف، فلما كان اليوم الثالث أسلم الأصبغ بن عمرو الكلبي – وكان نصرانياً وكان رئيسهم – وأسلم معه الكثير من قومه وأقام من أقام منهم على إعطاء الجزية.

فكتب عبدالرحمن إلى النبي يخبره بذلك وبعث رجلاً من جهينة يقال له رافع بن مكيث، وكتب يخبر النبي صلى الله عليه وسلم أنه قد أراد أن يتزوج فيهم، فكتب إليه النبي صلى الله عليه وسلم أن يتزوج بنت الأصبغ تماضر، فتزوجها عبدالرحمن وبنى لها، ثم أقبل بها، وهي أم أبي سلمة بن عبدالرحمن. وفي هذا الزواج حكمة ليزيد الترابط بين هذا الملك ودولة الإسلام في المدينة من خلال هذا الزواج خوفاً من أن يكون قد أسلم خوفاً من السيف ثم يرتد بعد ذلك.

* **مواقف عبدالرحمن بن عوف مع أبي بكر الصديق**

بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم استمر عبدالرحمن على عهده الذي قطعه على نفسه في نصرة دين الله والوفاء لأمته، والحفاظ على كيان الأمة، ورفعة شأنها وترسيخ قواعدها. وكان رضي الله عنه من الصحابة الذين يؤخذ بهم في شؤون الدولة.

ولما تولى أبو بكر الصديق رضي الله عنه أمر المسلمين، كان عبدالرحمن بن عوف أحد مستشاريه والمقربين منه، فعن أبي القاسم بن محمد بن أبي بكر أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه إذا نزل به أمر يريد فيه مشاورة أهل الرأي، وأهل الفقه دعا رجالاً من المهاجرين والأنصار، ودعا عمر، وعثمان وعلياً، وعبدالرحمن بن عوف، ومعاذ بن جبل، وأبي ابن كعب، وزيد بن ثابت رضي الله عنهم، وكل هؤلاء كان يفتي في خلافته، وإنما يصير فتوى الناس إلى هؤلاء، ومضى أبوبكر على ذلك.

وخرج أبوبكر الصديق يودع جيش أسامة بن زيد المتوجه إلى الشام، وهو ماش، وأسامة راكب، وعبدالرحمن بن عوف يقود دابة أبي بكر. وفي ذلك الموقف يضرب أبو بكر الصديق القدوة في التواضع وعدم التكبر. وكذلك الحال بالنسبة لعبدالرحمن بن عوف رغم مناقبه وفضائله تراه يقود دابة أبي بكر وفي ذلك دلالة كبيرة على أخلاق الرجال العظيمة.

وعندما أراد أبو بكر الصديق إرسال جيشه لغزو الروم وفتح بلاد الشام، جمع أصحابه وذوي الرأي والمشورة فيهم وكان عبدالرحمن بن عوف من بين هؤلاء، وبعد أن قام عمر بن الخطاب وأعلن رأيه، قام عبدالرحمن فقال: (يا خليفة رسول الله، إنها الروم، وبنو الأصفر حد حديد، وركن شديد، ما أرى أن نقتحم عليهم اقتحاماً، ولكن نبعث الخيل فتغير في قواصي أراضيهم ثم ترجع إليك، وإذا فعلوا ذلك بهم مراراً، أضروا بهم، وغنموا من أداني أرضهم فقعدوا بذلك عن

عدوهم، ثم تبعث إلى أرض اليمن، وأقاصي ربيعة ومضر، ثم تجمعهم جميعاً إليك ثم إن شئت بعد ذلك غزوتهم بنفسك وإن شئت أغزيتهم، ثم سكت وسكت الناس.

وكان عبدالرحمن بن عوف ممن استشارهم أبو بكر عندما أردوا استخلاف عمر بن الخطاب بعده، فعن أبي سلمة بن عبدالرحمن بن عوف، وعمر بن عنبسة وغيرهما أن أبا بكر بن الصديق لما اشتد به المرض، دعا عبدالرحمن بن عوف، فقال له: أخبرني عن عمر بن الخطاب، فقال عبدالرحمن: ما تسألني عن أمر إلا وأنت أعلم به مني، فقال أبو بكر: وإن، فقال عبدالرحمن: هو والله أفضل من رأيك فيه). وبعد ذلك دعا عثمان وكبار الصحابة وشاورهم. (رواه الحاكم في صحيحه عن ابن مسعود وقال بهذا الإسناد صحيح).

• مواقف عبدالرحمن بن عوف مع عمر بن الخطاب

كان عبدالرحمن بن عوف قريباً من عمر بن الخطاب منذ اللحظة الأولى لتسلمه الخلافة، وكان أحد خواص مستشاريه، وذلك أنه كان في طليعة من استشارهم أبو بكر الصديق في استخلاف عمر من بعده. وقد رويت عنه معه أخبار كثيرة. فقد روى سعد بن عمر رضي الله عنه بعد وفاة أبي بكر ودفنه دعا عبدالرحمن بن عوف، وعثمان بن عفان وغيرهما، وذهب بهم لتسلم ما في بيت مال المسلمين، ففتحوا بيت المال، فلم يجدوا فيه ديناراً، ولا درهماً، ووجدوا خيشة للمال، فنفضت، فوجدوا فيها درهماً، فترحموا على أبي بكر، وسألوا الوازن الذي كان يزن المال عند أبي بكر: كم بلغ المال الذي ورد على أبي بكر؟ فقال مئتي ألف يعني درهماً. (رواه ابن سعد وابن شيبة والإمام أحمد في مسنده).

وقد كان عبدالرحمن بن عوف واحداً من أولئك المقدمين في ميادين القيادة والسياسة والبناء، وكان أحد المستشارين الذي يثق برأيهم، ولا يمضي أمراً إلا بمشورتهم. فكان له من الآراء الناصحة الخالصة. التي شاركت في صناعة القرارات وإدارة الدولة. وكان عمر يدرك منزلة عبدالرحمن وكفاءته ونصاعة برهانه، فقربه إليه وأصغى إلى مشورته، وأسند إليه الكثير من الأعمال ومن تلك المواقف:-

- عزم عمر بن الخطاب أن يتجه على رأس جيشه ليشهد فتح العراق، فوافقه عامة الناس على ذلك، لكن عندما بعث إلى أهل الرأي والمشورة أشار عليه عبدالرحمن بن عوف أن يرسل مع الجنود رجلاً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإن أكرمهم الله بالنصر والفتح كان الذي يريدون، وإلا أعاده، وأرسل رجلاً آخر، حتى يأذن الله بالنصر، فوافق عمر على ذلك، وأرسل أبا عبيد بن مسعود، ثم بلغ عمر مقتل أبي عبيد.

في هذا الوقت نادى عمر بالجهاد في الناس وخرج بهم، وجعل على ميمنته عبدالرحمن بن عوف، وعلى ميسرته الزبير بن العوام، واستخلف علياً على المدينة، وأشار بعض ذوي الرأي على عمر بالسير إلى فارس، لكن عبدالرحمن بن عوف كان له رأي آخر ونهاه عن المسير، وقال: "بأبي أنت وأمي، اجعل عجزها بي وأقم، وابعث جنداً، فقد رأيت قضاء الله لك في جنودك قبل، وبعد – يعني مقتلهم- فإنه إن يهزم جيشك ليس كهزيمتك، وإنك أن تقتل، أو تهزم في أنف الأمر – مبتدئه- خشيت أن لا يكبر المسلمون، وأن لا يشهدوا أن لا إله ألا الله أبداً.

وقد وافق عمر عبدالرحمن في مشورته، وقال فأشيروا علي برجل، أجعله أميراً على جند الفتح. فقال له عبدالرحمن: وجدته، الأسد في براثنه، سعد بن أبي وقاص ووافقه أهل المشورة فولاه عمر. وجاء الفتح على يديه في القادسية، كما تجنب المسلمون أي مخاطر كانت قد تنجم عن قيادة عمر للجيش.

- عندما كثرت الفتوحات في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وفاضت الأموال على خزينة بيت المال، احتار عمر في هذه الأموال، وأخذ يستشير أصحاب الرأي من الصحابة. فمنهم من أشار عليه أن يدخره فإنه لا يدري ما يحدث في قابل الأيام، ومنهم من أشار عليه أن يفرض للناس من العطايا، ومال عمر إلى هذا الرأي. وكان عبدالرحمن ممن ساعده في قسمة المال.

يقول عبدالرحمن بن عوف: "بعث إلي عمر بن الخطاب فأتيته، فلما بلغت الباب سمعت نحيبه، فقلت: إنا لله وإنا إليه راجعون، اعترى والله يا أمير المؤمنين ! فدخلت فأخذت بمنكبه، وقلت: لا بأس، لا بأس يا أمير المؤمنين. قال: بل أشد البأس، فأخذ بيدي، فدخلت الباب ، فإذا حقائب بعضها فوق بعض، قال: إن الله لو شاء لجعل هذا إلى صاحبي _ النبي، وأبي بكر_ فسنا لي فيه سنة أقتدي بها، قلت : اجلس بنا نفكر، فجعلنا لأمهات المسلمين أربعة آلاف، أربعة آلاف ،وللمهاجرين مثل ذلك، ولسائر الناس ألفين، حتى وزعناها على الناس).

- استشار عمر بن الخطاب في عقوبة شارب الخمر فأشار عليه عبدالرحمن بن عوف أن يضربه ثمانين سوطاً، فأخذ بقوله، عن شعبة قال : سمعت قتادة يحدث عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم أتى برجل قد شرب الخمر فضربه بجريدتين نحو الأربعين، وفعله أبو بكر، فلما كان عمر استشار الناس، فقال عبدالرحمن بن عوف: اجعله كأخف الحدود ثمانين، فأمر به عمر. وكتب

بذلك إلى خالد بن الوليد، وأبي عبيدة بن الجراح في الشام. (روي عن أبي وبرة الكلبي رواه الشيرازي).

- وسأل عمر بن الخطاب عبدالرحمن بن عوف في حكم من سها في صلاته، واخذ برأيه.

روى ابن عباس رضي الله عنهما قال: كنت جالساً مع عمر بن الخطاب وهو خليفة فقال: يا بن عباس، أما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم أو من أحد من أصحابه يذكر ما أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سها المرء في صلاته؟ قال: لا، أو ما سمعت أنت يا أمير المؤمنين؟ قال: لا. قال: فدخل الخيمة علينا عبدالرحمن بن عوف فقال: فيما أنتما؟ قال عمر: سألته: هل سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم أو من أحد من أصحابه يذكر ما أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سها المرء في صلاته؟ فقال عبدالرحمن: عندي عِلم من هذا، فقال عمر : هلم فحدثنا: فأنت عندنا العدل الرضي، فقال عبدالرحمن بن عوف: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: إذا شك أحدكم في الاثنين والواحدة فليجعلها ثلاثاً، حتى يكون الوهم في الزيادة، ثم ليتم ما بقى من صلاته، ويسجد سجدتين وهو جالس قبل أن يسلم. (رواه الإمام مسلم في صحيحه باب الصلاة).

- خرج عمر بن الخطاب إلى الشام في سنة سبع عشرة، ومعه عدد من أصحابه، حتى إذا كان بسرغ، لقيه أمراء الأخبار أبوعبيدة بن الجراح وأصحابه، فأخبروه أن الوباء قد وقع بأرض الشام. فاستشار عمر بن الخطاب المهاجرين الأولين فاختلفوا، فقال بعضهم: قد خرجت لأمر، ولا نرى أن ترجع عنه، وقال بعضهم: معك بقية الناس وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولانرى أن تقدمهم على هذا الوباء، فقال ارتفعوا عني. ثم استشار الأنصار فاختلفوا أيضاً مثل المهاجرين.

ثم دعا من كان من مشيخة قريش فكان رأيهم أن يرجع بالناس ولا يقدمهم على هذا الوباء. فنادي عمر في الناس: إني مصبح على ظهر، فأصبحوا عليه، فقال أبوعبيدة بن الجراح: أفراراً من قدر الله ؟ فقال عمر: لو غيرك قالها يا أبا عبيدة، نعم نفر من قدر الله إلى قدر الله ، أرأيت لو كان لك إبل هبطت وادياً له عدوتان، إحداهما خصبة، والأخرى جدبة، أليس إن رعيت الخصبة رعيتها بقدر الله، وإن رعيت الجدبة رعيتها بقدر الله، قال: فجاء عبدالرحمن بن عوف، وكان متغيباً في بعض حاجته، فقال: إن عندي في هذا علماً، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول " إذا سمعتم به

بأرض فلاتقدموا عليه، وإذا وقع بأرض وأنتم فيها فلاتخرجوا فراراُ منه" قال: فحمد الله عمر ثم انصرف. (رواه أحمد والبخاري وغيرهما عن عبدالرحمن بن عوف).

- ذكر عمر بن الخطاب المجوس، فقال: ما أدري كيف أصنع في أمرهم. ولم يكن قد بلغه شيء من رسول الله صلى الله عليه وسلم. فقال عبدالرحمن بن عوف : أشهد أني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "سنوا بهم سنة أهل الكتاب". (أخرجه مالك في الموطأ والشافعي والبيهقي، وقال الألباني ضعيف).

- قبل عمر بن الخطاب شفاعة عبدالرحمن بن عوف في الحطيئة وأخرجه من محبسه الذي وضعه فيه وهو عبارة عن بئر. وذلك بسبب الأبيات التي قالها يهجو بها الزبرقان بن بدر. وعندما قال الحطيئة الأشعار يستعطف بها عمر، شفع له عبدالرحمن بن عوف فرق له عمر وأخرجه وأخذ عليه عهداً أن لا يهجو أحداً من المسلمين.

- ومن مواقف عبدالرحمن بن عوف مع عمر بن الخطاب، أن عبدالرحمن بن عوف حرس مع عمر بن الخطاب ليلة في المدينة، فبينما هما يمشون شب لهم سراج في بيت، فانطلقوا يؤمونه، فلما دنوا منه فإذا باب مجاف على قوم لهم فيه أصوات مرتفعة، فأخذ عمر بيد عبدالرحمن وقال له: أتدري بيت من هذا ؟ فقال عبدالرحمن: هذا بيت ربيعة بن أمية بن خلف، وهم الآن يشربون الخمر، فما ترى؟ فقال عمر : أرى أن قد أتينا ما نهى الله عنه، قال تعالى " ولاتجسسوا" (الحجرات : 12) وقد تجسسنا، وانصرفا عنهم. (الإمام مالك في الموطأ).

- ومما يذكر في هيبة الصحابة لعمر بن الخطاب، وجرأة عبدالرحمن بن عوف عليه، ما قاله محمد بن زيد: أن اجتمع علي، وعثمان، وطلحة، والزبير، وعبدالرحمن بن عوف، وسعد وكان عبدالرحمن أجرأهم على عمر، فقالوا: يا عبدالرحمن، لو كلمت أمير المؤمنين، فإنه يأتي الرجل طالب الحاجة، فتمنعه هيبة أمير المؤمنين أن يكلمه في حاجته حتى يرجع ولم يقض حاجته، فدخل عبدالرحمن بن عوف على عمر رضي الله عنهما، فقال: يا أمير المؤمنين لِن للناس، فإنه يقدم القادم فتمنعه هيبتك أن يكلمك في حاجته حتى يرجع ولم يكلمك! فقال عمر: ياعبدالرحمن أَنشدك الله أعلي، وعثمان، وطلحة، والزبير، وسعد أسروك بهذا ؟ قال: اللهم نعم.

فقال: يا عبدالرحمن والله لقد لِنت للناس حتى خشيت الله في اللين ثم اشتددت عليهم حتى خشيت الله في الشدة، فأين المخرج ؟ فقام عبدالرحمن بن عوف يبكي يجر رداءه ويقول : أف لهم بعدك، أف لهم بعدك. (الطبقات لابن سعد، والطبري في تاريخه التجاري في الأدب).

- لما فتح الله على المسلمين بلاد فارس، كان من نتيجة ذلك أن قدمت عليهم أموال الأخماس، فقال عمر: والله لا يجنه سقف بيت حتى أقسمه، فبات عبدالرحمن بن عوف وعبدالله بن أرقم يحرسانه في صحن المسجد، فلما أصبح عمر جاء الناس، فكشف عنه الغطاء الذي غطي به، فلما نظر إلى ياقوته، وزبرجده بكى، فقاله له عبدالرحمن: ما يبيك يا أمير المؤمنين، فو الله إن هذا لموطن شكر؟!

فقال عمر رضي الله عنه: والله ما ذاك ما يبكيني ، وتالله ما أعطى الله هذا قوماً إلا تحاسدوا وتباغضوا، ولا تحاسدوا إلا ألقى بأسهم بينهم.

- في السنة التي استقبل عمر بن الخطاب فيها خلافته بعث عبدالرحمن بن عوف أميراً على الحج، فأقام الناس مناسكهم كما انتدبه سنة 23هـ في آخر حجة حجها ليحج معه، وأمره أن يحج هو وعثمان بن عفان بأمهات المؤمنين.

- عندما اشتد الجوع بالمسلمين في المدينة في عام الرمادة، كتب عمر بن الخطاب إلى عمرو بن العاص يطلب الغوث، فأرسل إليه عيراً عظيمة أولها بالمدينة وآخرها بمصر، فلما قدمت بعث عمر بن الخطاب عبدالرحمن بن عوف، والزبير بن العوام، وسعد بن أبي وقاص رضي الله عنهم يقسمونها على الناس، فدفع إلى أهل كل بيت بعيراً بما عليه من طعام يأكلون الطعام وينحرون البعير.

وهذه بعض مواقف عبدالرحمن بن عوف مع عمر بن الخطاب والتي تظهر أن عبدالرحمن كان واحداً من اولئك المقدمين في ميادين القيادة والسياسة والبناء، حتى لكأنه ما كان يغيب عن عمر في موقف أو مشهد، وبقى في الثلة المختارة من بعد أعوانه ومستشاريه لايفارقه في مختلف المشاهد، ومعالجة المعضلات، حتى في الصلاة فإنه كان معه في الصف الأول ، وقد خلفه في صلاته عندما طعنه أبو لؤلؤة.

• دور عبدالرحمن بن عوف في اختيار
عثمان بن عفان خليفة للمسلمين

عندما طُعن عمر بن الخطاب طلب المسلمون منه أن يستخلف عليهم من يقوم بالأمر بعده، فقال (لا أجد أحق بهذ الأمر من هؤلاء النفر الذي توفي الرسول صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راض، فأيهم أُستخلف فهو الخليفة بعدي، فسمى علياً وعثمان وطلحة والزبير وعبدالرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص).

ولم يذكر سعيد بن زيد – وهو أحد العشرة المشهود لهم بالجنة- لأنه ابن عمه – خشية أن يعطوه أولوية كونه ابن عمه فيولوه الأمر ويجعلوه الخليفة. كما قال لأهل الشورى: (يشهدكم عبدالله بن عمر، وليس له من الأمر شيء).

ثم دعا أبا طلحة الأنصاري وقال له: كن في خمسين من قومك من الأنصار مع هؤلاء النفر أصحاب الشورى في بيت واحد ولا تترك أحداً يدخل عليهم، ولا تتركهم يمضي اليوم الثالث حتى يؤمروا أحدهم، وقم على رؤوسهم، فإن اجتمع خمسة ورضوا رجلاً منهم وأبى اثنان فاضرب رؤوسهما، فإن ثلاثة رجلاً منهم، وثلاثة رجلاً، فحكموا عبدالله بن عمر، فإن يرضوا بحكم ابن عمر، فكونوا مع الذين فيهم عبدالرحمن بن عوف، ولا يحضر اليوم الرابع إلا وعليكم أمير منكم.

واجتمع أصحاب الشورى وقال لهم عبدالرحمن بن عوف: ليجعل كل واحد منكم أمره إلى أصحابه، ففوض الزبير أمره إلى علي، وفوض سعد أمره إلى عبدالرحمن وجعل طلحة أمره إلى عثمان. (الإمام مسلم في صحيحه).

وقال عبدالرحمن بن عوف لعلي وعثمان: أيكما يخرج من هذا الأمر فنفوضه بتولية الأمر أفضل الرجلين، فسكت علي وعثمان. فقال عبدالرحمن: أفتجعلونه إلي، والله علي أن لا آلو عن أفضلكم، فقالا: نعم.

وقام عبدالرحمن بن عوف وأخذ بيد علي وقال : (لئن امرتك لتعدلن، ولئن امرت عثمان لتسمعن ولتطيعن ؟ ثم خلا بعثمان فقال له مثل ذلك). فقال كل منهما: نعم. ثم تفرقوا.

نهض عبدالرحمن بن عوف يستشير الناس في عثمان وعلي ، ويجمع رأي المسلمين حتى سأل النساء، والولدان، وسأل من يرد من الركبان والأعراب إلى المدينة. وسعى في ذلك مدة ثلاث أيام ولياليها حتى أنه من فرط إحساسه بالمسؤولية كان لايغتمض بكثير من النوم، ويكثر الصلاة والدعاء، ويستخير الله، فلم يجد أحداً يعدل بعثمان بن عفان. (رواه أبونعيم الأصبهاني ورواه ابن سعد والبخاري وغيرهم).

فلما كانت ليلة اليوم الرابع من موت عمر بن الخطاب جاء إلى ابن أخته المسور بن مخرمه، فقال : فادع الي علياً، وعثمان، فقال له : بأيهما أبدأ؟ فقال: بأيهما شئت، فذهب إلى علي، ثم عثمان، فجاء بهما إلى خاله وهو قائم يصلي فلما اتم صلاته أقبل على علي وعثمان، فقال إني سألت الناس عنكما، فلم أجد أحداً يعدل بكما أحداً، ثم أخذ العهد على كل منهما لئن ولاه ليعدلن ، ولئن ولي عليه ليسمعن وليطعن.

ثم خرج بهما إلى المسجد وقد لبس عبدالرحمن العمامة التي عممه رسول الله صلى الله عليه وسلم بها، وتقلد سيفاً، وبعث إلى وجوه الأنصار والمهاجرين، ونودي في الناس الصلاة جامعة، وتراص الناس حتى لم يبق لعثمان موضع يجلس فيه، فتنحى وجلس في أخريات الناس.

ثم صعد عبدالرحمن بن عوف، فوقف طويلاً، ثم تكلم فقال: أيها الناس إني سألتكم سراً أو جهراً فلم أجدكم تعدلون بأحد هذين الرجلين: إما علي وإما عثمان، فقم إلي يا علي، فقام إليه فوقف تحت المنبر، فأخذ عبدالرحمن بيده فقال: هل أنت مبايعي على كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، وفعل أبي بكر وعمر؟ فقال علي: اللهم لا، ولكن على جهدي وطاقتي.

ثم قال عبدالرحمن بن عوف : قم إلي عثمان ، فأخذ بيده فقال له: هل أنت مبايعي على كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، وفعل أبي بكر وعمر؟ قال : اللهم نعم.

فرفع عبدالرحمن رأسه إلى سقف المسجد، ويده في يد عثمان، فقال: اللهم اسمع وأشهد، اللهم اسمع وأشهد، اللهم إني قد خلعت ما في رقبتي من ذلك في رقبة عثمان. فبايعه عبدالرحمن بن عوف ثم بايعه علي بن أبي طالب وازدحم الناس يبايعون عثمان. (رواه ابن كثير والطبراني وأبونعيم وغيرهم والقصة فيها تكذيب لرواية تخلف علي عن مبايعة عثمان رضي الله عنهم أجمعين).

وهكذا نرى كيف كانت حكمة عبدالرحمن بن عوف في تقدير حجم المسؤولية، وثقل الأمانة، ورغم مكانته وما يتمتع به من صفات وخصال حميدة، ماجعل النبي صلى الله عليه وسلم يرفعه إلى الدرجة الأولى بين الصحابة. ثم ماكان عليه من المؤهلات والكفاءات ما حمل عمر على أن جعله مع أصحاب الشورى الست، وأوصى المسلمين أن يتبعوا سبيله ويطيعوا أمره. كل ذلك علاوة على ما لديه من ثراء عريض ونفقة خاصة بين الناس. إلا أنه لم يسع إلى السلطة والاستئثار بالحكم، كما نراه الآن في ذوي المال والجاه الذين يسعون إلى المناصب. لحماية الثراء، ومضاعفة الأموال مستغلين في ذلك سلطانهم ومكانتهم السياسية. وهو بذلك يضرب المثل في الزهد بمنصب الخلافة حتى أنه قال: (والله لأن تؤخذ مني مدية فتوضع في حلقي ثم ينفذ بها إلى الجانب الآخر أحب إلي من ذلك). وبذلك لم يكن محابياً فلم يأخذها لنفسه ولم يولها لأقرب الناس إليه، ابن عمه سعد بن أبي وقاص.

وكان عثمان يجل عبدالرحمن، وكانت تربطهما صلات وثيقة قبل الإسلام من خلال أعمالهما التجارية، فلما تولى عثمان أمر المسلمين كان عبدالرحمن على رأس مستشاريه. وولى عثمان عبدالرحمن بن عوف الحج بالناس أول سنه في خلافته، وأوصى له بالخلافة من بعده، فقد رو ي أن عثمان اشتكى رعافاً فدعا حمران فقال: اكتب لعبدالرحمن العهد من بعدي) فكتب له، ولكن عبدالرحمن دعا الله أن يميته قبل عثمان فلم يمكث إلا ستة أشهر حتى قبضه الله، وتوفي عبدالرحمن سنة 32 هـ في خلافة عثمان وهو ابن خمس وسبعين سنة. وصلى عليه عثمان.

الفصل الثالث

التجارة في حياة عبدالرحمن بن عوف

- مكانة التجارة في الإسلام
- الخصائص المميزة للتجارة في الإسلام
- التجارة في حياة عبدالرحمن بن عوف
- عبدالرحمن بن عوف يحار ب الاحتكار
- عبدالرحمن بن عوف التاجر الشجاع
- نظريات عبدالرحمن بن عوف في التجارة
- مبادئ عبدالرحمن بن عوف في ريادة الأعمال
- نفقات عبدالرحمن بن عوف في سبيل الله
- وصية عبدالرحمن بن عوف وتركته

• مكانة التجارة في الإسلام

اهتم الإسلام بالتجارة مثلما اهتم بميادين الحياة الأخرى فقدم نموذجا مثالياً، وسهلا لطريقة التعاملات والبيع والشراء، وبذلك فقط يبتعد الإنسان عن الضغوطات النفسية والعصبية ويحقق الراحة والطمأنينة ويستطيع اتخاذ القرارات الصائبة ويهيأ ظروف عمل تساعد على النجاح. وكل ذلك يتحقق باتباع طريق الحق والايمان والاستعانة بالمشورة والاستفادة من خبرات الآخرين.

وقد أخبر النبي صلي الله عليه وسلم عن بركة التجارة علي صاحبها فقال صلي الله عليه وسلم (أعظم الناس هما المؤمن الذي يهم بأمر دنياه وأمر آخرته). (حديث غريب).

وروى الإمام أحمد في مسنده من حديث رافع بن خديج قال: قيل يا رسول الله، أي الكسب أطيب؟ قال: ‘‘عمل الرجلِ بِيده وكل بيع مبرورٍ’’ (رواه البزار وصححه الحاكم)

وقال صلي الله عليه وسلم: "التاجر الصدوق يحشر يوم القيامة مع الصديقين والشهداء". وقد أخرج الأصبهاني عن معاذ بن جبل قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أطيب الكسب كسب التجار الذين إذا حدثوا لم يكذبوا وإذا وعدوا لم يخلفوا وإذا ائتمنوا لم يخونوا وإذا اشتروا لم يذموا وإذا باعوا لم يمدحوا وإذا كان عليهم لم يمطلوا وإذا كان لهم لم يعسروا» (حديث مرفوع رقمه 775).

و روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: "تسعة أعشار الرزق في التجارة والعشر في المواشي". (رواه ابن أبي الدنيا وضعفه الألباني).

وكانت التجارة عمل النبي صلي الله عليه وسلم، فحين بلغ مبلغ الرجال حيث كان صلى الله عليه وسلم يتاجر في مال السيدة خديجة بنت خويلد رضي الله عنها.

وأضحت المدينة بعد هجرة الرسول اليها مركزاً تجارياً مهماً بعد ان كانت في السابق نقطة مرور للقوافل التجارية، وأخذ كبار التجار الذين دخلوا في الإسلام يخرجون في قوافل تجارية إلى بلاد الشام. وكان من بينهم طلحة بن عبيدالله وسعيد بن زيد وأبو بكر الصديق وعبدالرحمن بن عوف وزيد بن حارثة. وبالمقابل نشطت التجارة القادمة من الشام بالوصول الى المدينة.

وبرز في المدينة البعد التجاري لمسلميها من خلال إنهاء سيطرة اليهود على اقتصاد الحجاز والمدينة بنوع خاص، وتمكن مسلمو قريش من انتزاع دور اليهود الاقتصادي وحلوا محلهم وقاموا بتسيير الحملات التجارية إلى بلاد الشام وسواها. كذلك أصبح القرشيون قادة أهل المدينة اقتصادياً واجتماعياً ودينياً بفضل نبوة الرسول صلى الله عليه وسلم، وتصاعد دورهم في التجارة الخارجية. فقد تجمعت لديهم كل الامكانيات المالية والاجتماعية والسياسية والدينية للانطلاق في تحقيق أهدافهم.

وفي سبيل استقامة التجارة وضع التشريع الإسلامي مجموعة من القواعد التي يجب على التاجر المسلم أن يتبعها ويسير على نهجها حتى تربح تجارته ويكون ربحه من الحلال ومنها:-

1 - التجارة لا يجب أن تكون على حساب الواجبات الدينية

المؤمن يعي جيدا ذلك المعنى ولا يلهيه أي شيء عن عبادة الله أو تأخير الصلاة عن وقتها مهما كانت الأرباح المادية. هذه الصفات التي يتحلى بها المؤمن الملتزم بالأخلاق القرآنية وردت في القرآن الكريم في قوله تعالى:

(رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاء الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْماً تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ) (النور : 37)

تؤكد هذه الآية أن المنافع المادية كالتجارة هي الأشياء الكبيرة التي تلهي الإنسان عن الالتزام بأوامر الله تعالى، إذ يسعى الإنسان لكسب المال وجمع الثروة وحشد القوة فيغفل عن الصلاة أو تطبيق تعاليم القرآن. لكن المؤمن الملتزم يعرف أن كسب الرزق من التجارة أو غيرها لا يجب بأي حال من الأحوال أن يلهيه عن العبادة.

2 - عدم الغش

يجب على التاجر المسلم ألا يغش ولا يخون فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: (من غش فليس منا) "رواه مسلم وغيره". ومعظم رواياته: من غشنا، وقد روى هذا المتن عدد من الصحابة: منهم أبو هريرة، وابن عباس وابن مسعود) وعدم الغش قيمة إنسانية وإيمانية عظيمة يستقيم بها البيع والشراء، ويعمق الثقة بين التاجر والمشتري وبذلك يعود مردوده الطيب على المجتمع بأسره.

3 - الكسب والإنفاق في مرضاة الله

يسعى الإنسان لتحقيق أغراض دنيوية منها تحقيق حياة مرفهة، بأن يكون غنيا وصاحب سلطة وجاه وموقع اجتماعي مرموق، ولا شك أن كل هذه الأشياء نعم مشروعة من حق كل إنسان السعي إلى اكتسابها، لكن ما يفصل المؤمن عن أي شخص آخر خصوصية هامة وهي أن تحقيق كل هذه الأشياء ليس لأغراض دنيوية بل سعيا لمرضاة الله، فالمؤمن ينفق أمواله وفقا لأوامر الله ويحرص حرصا كبيرا على القيام بأعماله ملتزما بتعاليم دينه وقيمه.

إن القوم الفاسقين هدفهم هو الربح الدنيوي لا غير، ولا يفكرون في ثواب أو عقاب وهم الذين عنتهم الآية الكريمة:

(قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّى يَأْتِيَ اللهُ بِأَمْرِهِ وَاللهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ) التوبة 24

إنّ المؤمن الصادق يتحاشي السقوط في مثل هذه الصفات ويسعي إلى التحلّي بالأخلاق الربانية التي ارتآها الله للمؤمنين ولا يحيد عنها مهما كانت مشاغله، فهو يعتمد الصدق في التجارة ويجتهد في أعماله ويوفي الميزان، وهو متواضع مع الناس، هدفه الأسمى كسب مرضاة الله تعالى والكسب الحلال.

4 - الصدق والأمانة

لقد أمر الله المؤمنين بأن لا يتعدوا على حقوق الآخرين ولا ينقصوا في الكيل والميزان وأن يعطوا كلّ صاحب بضاعة حقّه كما وردت في بعض الآيات توصيات تأمر بأن يكون التاجر أمينا، صدوقا، لا يأكل حقوق النّاس بالباطل ويتحلّى بالأخلاق السامية.

(وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذا كِلْتُمْ وَزِنُواْ بِالقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً) (الإسراء)35.

5 - الكسب الحلال

بين القرآن أخلاق التجارة وتعاملات البيع والشراء، وأول ما يلفت الانتباه أمر الله بالكسب الحلال وتجنب الربا مثل قوله تعالى :

(الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لاَ يَقُومُونَ إِلاَّ كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَن جَاءهُ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِ فَانتَهَىَ فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُوْلَـئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) سورة البقرة 275

6 - التجارة في المباح

من بين الأشياء التي حض عليها الإسلام في التجارة أن تكون في المباح الطيب والبعد عن الخبائث والمحرمات فالأشياء التي حرمها الإسلام، كالخمر والخنزير، لا يصح للتاجر المسلم أن يتاجر بشيء من ذلك. حتى ولو باعها لغير مسلم، فالنبي عليه الصلاة والسلام لعن في الخمر عشرة: عاصرها ومعتصرها وحاملها والمحمولة إليه، وساقيها وبائعها وآكل ثمنها.. فكل من شارك فيها بجهد ما فهو ملعون على لسان محمد صلى الله عليه وسلم. (رواه أبوداود والحاكم والترمذي وقال حديث حسن غريب، ورقم الحديث 4899)

وقد جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم ومعه قربة مملوءة خمرًا ليهديها إلى النبي، فقال له عليه الصلاة والسلام: (إن الله قد حرم الخمر)، قال له: إذن أبيعها. قال: (إن الذي حرم شربها حرم بيعها). قال: إذن أكارم بها اليهود - أي يهديها لهم مجاملة - فقال: (إن الذي حرم بيعها

وشربها حرم أن تكرم بها اليهود). قال: فماذا أصنع بها ؟ قال: (اذهب فشنها على البطحاء) (رواه الحميدي في مسنده) أي صبها وأهرق ما فيها على الطريق. (أخرجه البخاري ومسلم ورقمه 445).

7 - المكاتبة

من التعليمات الإلهية للتجار أن أمر الله المؤمنين بكتابة الديون المتداولة ومقادير البيع والشراء حتّى لا ينسى الإنسان ما له وما عليه فتضيع الحقوق وتحصل خلافات وخصومات، إضافة إلى الاستعانة بشاهدين عند عقد الصفقات التجارية.

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلاَ يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللّهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللّهَ رَبَّهُ وَلاَ يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئاً فَإن كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهاً أَوْ ضَعِيفاً أَوْ لاَ يَسْتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ وَاسْتَشْهِدُواْ شَهِيدَيْنِ من رِّجَالِكُمْ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاء أَن تَضِلَّ إْحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الأُخْرَى وَلاَ يَأْبَ الشُّهَدَاء إِذَا مَا دُعُواْ وَلاَ تَسْأَمُوْاْ أَن تَكْتُبُوْهُ صَغِيراً أَو كَبِيراً إِلَى أَجَلِهِ ذَلِكُمْ أَقْسَطُ عِندَ اللّهِ وَأَقْومُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَى أَلاَّ تَرْتَابُواْ إِلاَّ أَن تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلاَّ تَكْتُبُوهَا وَأَشْهِدُوْاْ إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلاَ يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلاَ شَهِيدٌ وَإِن تَفْعَلُواْ فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ وَاتَّقُواْ اللّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللّهُ وَاللّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) (البقرة :282).

8 - الاستشارة

هناك شيء مهم على المؤمن أن يلتزم به في حياته العملية، فإذا أراد أن يتخذ قرارا أو يقوم بعمل جديد فعليه بالاستشارة أي الاستفادة من خبرات وأفكار الآخرين، وهذه صفات خاصة بالمؤمنين الذين يطبقون التعاليم القرآنية. وبذلك تتسع مداركه وخبراته عن السوق واحتياجاته فيعرف كيف يستثمر أمواله فيما يعود عليه بالربح.

9 - تجنب الاحتكار

ينبغي على التاجر المسلم ألا يحتكر، لأن الاحتكار حرام. فالنبي يقول (لا يحتكر إلا خاطيء) (رواه مسلم وأبو داود، ورواه الشيباني في حديث رقم 2208). وهذا يتناول كل بضاعة أو سلعة يحتاج إليها المسلمون، من قوت أو غير قوت. لأنه يحرم المجتمع من احتياجاته ويتسبب في رفع الأسعار وتعجيز الكثير من الفئات عن الشراء.

والاحتكار هو حبس الشيء عن العرض في وقت ينخفض فيه السعر، وبيعه وقت الغلاء فى السوق، وعند اشتداد الحاجة إليه. ونهى الإسلام عن الاحتكار لما فيه من الأضرار ومنها:

- أنه يكون سببًا في انتشار الحقد والكراهية بين الأفراد مما يساعد على تفكك المجتمع وانهيار العلاقات بين أفراده.

- الاحتكار يترتب عليه العديد من الأمراض الاقتصادية والاجتماعية، مثل البطالة والتضخم والكساد والرشوة والمحسوبية والنفاق والسرقة والغش.

- الاحتكار يؤدي إلى غلق روح المنافسة الشريفة بين الأفراد أو الدول والتي هي السبيل إلى إتقان العمل وتحسين مستوى الإنتاج.

- وأمام هذه الأخطار نرى التشريع يعلن الحرب على الاحتكار والمحتكرين، فعَنْ أَبِي هريرةَ، قَالَ: قَالَ رَسولُ اللَّهِ صَلى اللهُ علَيْهِ وَسَلمَ: «مَنِ احْتَكَرَ حُكْرة، يُرِيدُ أَنْ يُغْلِيَ بِهَا عَلَى الْمسْلِمِينَ، فَهُوَ خَاطِئٌ» (مسند أحمد)، وقَولَه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسلمَ: «مَنِ احْتَكَرَ فَهُوَ خَاطِئٌ». (رواه أبو هريرة السلسلة الصحيحة رقم 3326، إسناد صحيح).

10 - إعطاء حق الله فى المال

مثل الزكاة والصدقات حتى تتحقق البركات والنماء والطهارة. يقوّم بضاعته كل عام ويزكيها بنسبة ربع العشر، أي: 2,5%، في كل ما هو معد للبيع، ويصرفها كما أمر الله تعالى في الأصناف الثمانية، فلا يترك للشيطان مجالاً للوسوسة وللأمر بالفحشاء والتخويف من الفقر، كما قال تعالى (الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ) (البقرة :268)، وقوله تعالى وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ (سبأ : 39)

11 - البعد عن الإضرار بأهل السوق من التجار

لا يجوز للتاجر أن يبيع علي بيع أخيه كما يقول النبي -صلى الله عليه وسلم- في صحيح البخاري ومسلم:"لا يبع بعضكم على بيع بعض". (رواه البخاري ومسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما رقم 1390). كذلك لا يجوز له أن يبيع سلعته بأرخص مما يبيع أهل السوق، رغبة في الإضرار بهم، وإحداث الكساد لتجارتهم، وقد نهى سيدنا عمر رضي الله عنه خليفة المسلمين التجار عن الإضرار بزملائهم في السوق، ببيع سلعهم بأرخص مما يبيع به سائرهم، فقد روي عن سعيد بن المسيب: «أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه مر على حاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه وهو يبيع زبيبا له في السوق، فقال له عمر: إما أن تزيد في السعر وإما أن ترفع من سوقنا» (سنن البيهقي). (رواه الشافعي بسنده وأخرجه عبدالرازق).

أثر الالتزام بهذه القواعد في التجارة :-

- تقديم نموذج متميز لرجل الأعمال المسلم في حلبة الحياة العملية
- تحقيق الخير والبركة والنماء في الأرزاق
- تجنب الوقوع في الحرام
- تجنب الشك والريبة بين المسلمين وتحقيق العدل بين الناس في المعاملات
- التأكيد على شمولية الإسلام وأنه دين عبادات وأنه منهج حياة
- التمكين لشرع الله أن يطبق ويسود لإنقاذ البشرية مما هي فيه من بؤس وشقاء وضنك

• الخصائص المميزة للتجارة في الإسلام

وبتحليل الضوابط التي فرضها الإسلام لممارسة التجارة يتضح لنا أنها تمتلك بعض الخصائص التي تميزها عن الممارسات في أي نظام آخر ومن هذه الخصائص:-

الخاصية الأولى :

إن التجارة تمارس نشاطات مباحة من أجل الوصول إلى أهدافها، وتتفق مع روح المصلحة العامة وفي الإطار العام الذي رسمه الشارع إذ لا يمكن التهاون مطلقاً في هذا الجانب المهم، فالغاية لا تبرر الوسيلة بأي حال من الأحوال ولا بد لهما معاً – الوسيلة والغاية – أن يكونا مقبولين شرعاً من أجل أن يكون العمل صالحا كما قال تعالى :

(والعَصْر - إنّ الإنسَانَ لفي خـُسْـر - إلا الذينَ ءَامَنُوا وعَمِلوا الصالحاتِ وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر) (العصر)

فلا إيمان بدون عمل صالح ، وإسداء نصح ، والتحلي بالصبر.

وقوله تعالى : { إنّ الذينَ ءَامنوا وعملوا الصالحاتِ كانت لهم جناتُ الفردوسِ نُزُلاً } (الكهف :107).

الخاصية الثانية :

إن التجارة في الإسلام من خلال نشاطاتها المتمثلة في تقديم خدمة أو سلعة مباحة تسعى إلى تحقيق أهداف مشروعة تنضوي تحت مفهوم عبادة الله عز وجل امتثالاً لقوله تعالى: { وما خلقتُ الجنَّ والإنسَ إلا ليعبدون } (الذاريات : 56)

وهذه الأهداف في أبعادها ومضامينها لا بد وأن تتفق ومقاصد الشرع الحنيف الخمسة المرتبة فقهياً وهي: حفظ الدين، والنفس، والعقل، والنسل، والمال.

الخاصية الثالثة :

إن التجارة تمارس أعمالها من خلال تقديم خدمة أو سلعة مشروعة إلى جميع الناس بلا تمييز لعرق أو لون أو لسان أو منزلة اجتماعية أو حتى لمعتقد ديني وخاصة في الحقوق العامة لقول الله تبارك وتعالى :

(يا أيها الناسُ إنا خلقناكُم من ذكرٍ وأنثى وجعلناكُم شعُوباً وقبائلَ لتعارفـُوا إن أكرمكُم عند َ اللهِ أتقاكُم إن اللهَ عَليمٌ خبيرٌ) (الحجرات : 13).

الخاصية الرابعة :

إن التجار وأصحاب الأعمال يقومون بواجباتهم على مستوى عال من المسؤولية شعوراً منهم بثقل الأمانة على كواهلهم فتصبح كل تصرفاتهم تحت سيطرة شعورهم الداخلي بأن الله تبارك وتعالى عالم بهم، بصير بأعمالهم وهذا ما يسمى بـ (الرقابة الذاتية) التي تجعل صاحبها يؤمنً بأنه إذا ما هم بسوء وتفنن في ضروب الغش والاحتيال، فإن ذلك لا يخفى على الله عز وجل، و إذا لم يحاسبه مسؤول في الدنيا فإن الله السميع البصير سائله يوم العرض عليه ومحاسبه أمام الأشهاد.

قال تعالى : { والذينَ هُمْ لأماناتهم وعهدهم راعون } (المؤمنون : 8)

الخاصية الخامسة :

إن النشاط التجاري يعمل وفقاً لقواعد وأحكام قانونية واضحة مصدرها الشريعة الإسلامية تنظم مختلف العمليات.. وبمعنى آخر إن جميع النشاطات التي تمارسها التجارة في شتى المجالات والمستويات تستند على أحكام التشريع الإسلامي.

الخاصية السادسة :

إن التجارة بنشاطاتها المباحة وأهدافها المشروعة وتعاملها مع الجمهور، سعت إلى إشباع الحاجات الأساسية للإنسان دون غلو أو سيطرة على الجوانب الروحية والنفسية ولكنها تحرص على إحداث التوازن المطلوب بكل المعايير لهذه الحياة.. والمولى جل شأنه يقول :

{ وابتغِ فيما ءَاتاكَ اللهُ الدارَ الآخرة ولا تنسَ نصيبَكَ من الدنيا وأحسن كما أحسنَ اللهُ إليكَ ولا تبغِ الفسادَ في الأرض إن اللهَ لا يُحبُ المُفسدين } (القصص : 77)

- **التجارة في حياة عبدالرحمن بن عوف**

كان بنو زهرة _ أسرة عبدالرحمن بن عوف_ في الجاهلية من تجار قريش وكان عبدالرحمن نفسه تاجراً يذهب بتجارتة إلى اليمن والشام، ويحضر مواسم العرب. وقد ورث عبدالرحمن عن والده اموالاً كتيرة، واستثمرها بالتجارة، وكان محظوظاً، مرزوقاً.

وعندما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه بالهجرة من مكة إلى المدينة، ترك عبدالرحمن بن عوف في مكة أموالاً وأملاكاً كثيرة، وهاجر إلى المدينة فقيراً، ولكن لم يلبث أن استعاد ثروته، بل أضعافها بفضل الله وتوفيقه، وذكائه، وحنكته في التجارة. وبرز تعلق عبدالرحمن بن عوف بالتجارة وخبرته فيها بعد إسلامه، وهجرته إلى المدينة.

كان الصحابة رضوان الله عليهم مُثلاً عليا، فلما هاجروا إلى المدينة أمرهم النبي صلى الله عليه وسلم أن يتآخوا اثنين اثنين، فكان عبدالرحمن بن عوف نصيبه سعد بن الربيع، وهو أنصاري، وعبدالرحمن بن عوف مهاجر، ولما انتقل إلى المدينة كان بلا مال، ولنا أن نتصور أن شخصاً يترك كل ثروته، وهو من الأغنياء، ثم يذهب إلى مكان آخر وهو مفلس. هكذا كان الصحابة، تركوا كل أموالهم وهاجروا مع النبي صلى الله عليه وسلم، فقال سعد بن الربيع لعبدالرحمن بن عوف: يا أخي أنا أكثر أهل المدينة مالاً، فانظر شطر مالي فخذه، فقال له عبدالرحمن بن عوف: بارك الله لك في مالك، ولكن دلني على السوق. (ذكره البخاري في مناقبه).

وخرج إلى السوق، فاشترى... وباع... وربح

وهكذا سارت حياته في المدينة، على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعد وفاته.. أداء كامل لحق الدين، وعمل الدنيا... وتجارة رابحة ناجحة، لو رفع صاحبها_على حد قوله_ حجراً من

مكانه لوجد تحته ذهباً وفضة.

ومما جعل تجارته ناجحة، تحريه الحلال، ونأيه الشديد عن الحرام، بل عن الشبهات.

كذلك ما زاده نجاحاً وبركة إنها لم تكن لعبدالرحمن وحده... بل كان لله فيها نصيب أوفى، يصل به أهله، واخوانه، ويجهز به جيوش الإسلام... وإذا كانت التجارة والثروات، إنما تحصى بأعداد رصيدها وأرباحها فإن ثروة عبدالرحمن بن عوف إنما تُعرف مقاديرها وأعدادها بما كان يُنفق في سبيل الله رب العالمين، لذا كان سيد ماله ولم يكن عبده والدليل أنه لم يكن يشقى بجمعه ولا باكتنازه، بل يجمعه هوناً، ومن حلال، ثم لا ينعم وحده... بل ينعم معه أهله ورحمه وإخوانه ومجتمعه كله.

هؤلاء هم الصحابة الكرام الأنصار الذين أظهروا أعلى درجات المؤاثرة وقابلهم المهاجرين بأعلى درجات العفة، فلم يأخذ أي مهاجر شطر مال أخيه الأنصاري.وتوكلوا على الله حق توكله. وطلبوا الرزق من الله فاعطاهم وبارك لهم في أعمالهم وتجارتهم. لأن الإنسان إذا أعطى، فعطاؤه غير رب العالمين، قيل: احتج إلى الرجل تكن أسيره، واستغن عنه تكن نظيره، وأحسن عليه تكن أميره.

وتوسعت تجارته وازدهرت منذ أن حطت قدماه أرض المدينة المنورة، وقام بتسيير القوافل التجارية إلى الشام ومصر، وكان له شركاء في التجارة، فمثلاً احتفظ بعلاقته التجارية مع أمية بن خلف، وعملا في صياغة الذهب، فكان أمية بن خلف يتاجر به في مكة، بينما كان عبدالرحمن بن عوف يتاجر به في المدينة المنورة. كما كان رياح بن المغترف أحد شركائه في التجارة أيضاً.

لقد نجحت تجارة ابن عوف وباركها المولى عزل وجل، وكان هذا النجاح لتحريه الحلال وبعده الشديد عن الحرام أو الشبهات، وكان موفقاً في التجارة إلى حد أثار عجبه ودهشته حتى فال: (لقد رأيتني، لو رفعت حجراً، لوجدت تحته فضة وذهبا).

ولم يكن عبدالرحمن بن عوف كأي تاجر آخر فهو لم يكن حريصاً على جمع المال أو مشغوفاً بالثراء بدليل أنه رغم غناه لم تلهه هذه التجارة أو المال عن التزامه بالإسلام ونصرته أو بحقوق الفقراء بل مع زيادة المال وثراؤه المتسع كان يخرج حق الفقير وأكثر منه.

عبدالرحمن بن عوف الغني القوي

قد يظن الناس واهمين أن الغنى يتناقض مع الإيمان، ولكن هذا غير صحيح، فيمكن للمسلم أن يكون أغنى أغنياء الأرض، وفي أعلى درجات الإيمان والقبول عند الله عز وجل. ويمكن أن يكون من أقوى الأقوياء وهو مؤمن.

وهذا ما نجده في حديث رب العزة عن ذي القرنين. فقد كان ملكاً ولا يتنافى الملك مع الإيمان. وقد يكون المرء فقيراً وهو عند الله عظيم.

وهذه هي المعاني الجليلة التي تجسدت في شخصية عبدالرحمن بن عوف فرغم غناه الشديد إلا أنه كان على قدر كبير من الإيمان ما جعله من العشرة المبشرين بالجنة، كما أنه جمع بين المال والقوة وهو ما لمسناه في بطولاته في المعارك ونصرته لدين الله.

فالمال شقيق الروح، فليس الفضل للعالم فقط، بل وللغني المؤمن، الغني الشاكر الذي يعرف حق الله في ماله، فهذا بعلمه وهذا بماله، لهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم: "لاحسد إلا في اثنتين رجل آتاه الله مالاً فُسلط على هلكته في الحق، ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقض بها ويعلمها". (أخرجه البخاري رقم 43 ومسلم في صحيحه رقم 816).

وأصحاب الأموال بإنفاقهم وسخائهم وبذلهم يصلون إلى مرتبة عالية عند الله عز وجل، وإن لم يكن عبدالرحمن بن عوف من هذا الصنف، فمن إذاً يكون منهم؟!

عبدالرحمن بن عوف يحارب الاحتكار

يعود الفضل في نشأة الأسواق في المدينة المنورة، إلى بواكير المرحلة الأولى من الهجرة النبوية، فبعد وصول رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة بدأ بإعادة تنظيم شؤون المدينة السياسية والاقتصادية والاجتماعية، وكان من المهام العاجلة التي أمر بها صلى الله عليه وسلم، إنشاء سوق للمسلمين في المدينة. إذ كان اليهود قبل الهجرة يحتكرون التجارة فيها، ويسيطرون على معظم الموارد. وقد أراد الرسول صلى الله عليه وسلم إنهاء هذا الاحتكار والهيمنة، وتشجيع أثرياء المسلمين على مزاولة النشاط الاقتصادي.

ومن أبرز المسلمين الذين كان لهم الفضل في إنشاء سوق المدينة الصحابي الجليل عبدالرحمن بن عوف. فبعد أن توفر لديه المال استطاع شراء بعيراً حتى يحمل عليه البضائع والاحتياجات وبذلك كانت بدايته مع النقل كباب من أبواب التجارة، وعندما اكتملت لديه الفكرة وتفتحت مداركه على احتياجات السوق شرع في تكوين علاقات مع أعراب المدينة وكذلك الذين يعيشون خارج المدينة. وبدأ في شراء ما يصنعونه من اللبن والجبن وغيره بحيث يشتري منهم بالأجل ويبيعه في سوق المدينة. وبذلك استطاع عبدالرحمن بن عوف ممارسة التجارة من أبواب مختلفة وتوفير احتياجات أهل المدينة، الأمر الذي ساهم في القضاء على احتكار اليهود لأسواق المدينة.

- **عبدالرحمن بن عوف التاجر الشجاع**

ضرب عبدالرحمن بن عوف القدوة كواحد من رواد الأعمال الناجحين الذين يتحلون بخلق الجسارة والجرأة لبدء النشاط التجاري، عندما فضل أن يبدأ نشاطه التجاري من الصفر بدلاً من قبول الهدايا من الآخرين. وفي ذلك العديد من الدروس التي يجب أن يتعلمها رواد الأعمال، لاسيما المبتدئين لتحفيز أنفسهم من خلال العديد من الطرق عند بدء النشاط التجاري.

من المعروف أن الخوف هو المرض المزمن عند بدء أي عمل تجاري لأنه يتمثل في صورة السؤال المثبط "ماذا لو فشلت"؟. واختلاط الخوف بالقلق ومعاناة كل مبتدئ بسببهما أمر طبيعي، والسبب هو دخولهم إلى عالم جديد، لذا على هؤلاء أن يتحلوا بشجاعة عبدالرحمن بن عوف ويتخلصوا من الخوف واعتماد التخطيط لبدء عمل مستقر قدر المستطاع.

وعلى رائد الأعمال ألا يقلق طالما أنه يبتغي نجاح الدنيا والآخرة، وعليه أن يعلم أن كل منا لديه حظه من الجرأة، والإنسان يجب أن يكون لديه إصرار ومثابرة مهما كان طريقة مزروعاً بألغام الفشل. وليعلم أن بداية أي شيء تأتي مع الجراة والشجاعة التي لديه، بالإضافة إلى الرغبة في بدء مشروع جديد.

والجرأة التي نعنيها هنا هي الجرأة المحسوبة_المخطط لها ولتقديراتها_ لاجرأة "المتهور" أو "الغافل المحبط" وكلاهما غير مرغوب فيهما؛ لأنهما في الأساس خطوات غير محسوبة، وليست صور من الشجاعة.

وهنا على التاجر أن يتوكل على الله ويبدأ مشروعه بشجاعة، ويحاول أن ينجح بكل ما لدية من قوة وعزم، وليعلم أن الله لا يضيع أجر من أحسن عملا.

الشجاعة في مضمار المنافسة

بعد البدء في الخطوة الأولى، هناك جرأة وشجاعة مطلوبة لكنها من نوع آخر، وهي شجاعة الصمود في وجه المنافسين، ومن الشجاعة أن يواجه التاجر الادعاءات التنافسية التي تدور حوله، وهنا تكون الشجاعة بمثابة الحافز الأكبر الذي يشعل حماس المحاولة وتجويد المنتج. أما في حالة عدم وجود منافسة فإن التاجر أو رائد الأعمال سيصاب بحالة من الرضا الكاذب عن حاله إلى أن يُفاجأ بتدهور تجارته وتعرضه للخسائر.

ومن دواعي المنافسة وتحقيق النجاح أن يحرص التاجر على تحقيق الاختلاف عن الآخرين وأن يكون هناك ما يعطيه ميزة في مايقدمه من خدمة أو سلعة عن المنافسين سواء في الرعاية، والمظهر، والجودة، والسعر. لأن في ذلك الطريقة الصحيحة للحصول على المزيد من العملاء في ظل تعدد السلع وكثرة المنتجات. والاختلاف سيجعل التاجر يمضي إلى الأمام ويتجاوز منافسيه، ولا بأس في ذلك، المهم، أن يعمل في مجال حلال لا يغضب الله، وألا يتعدى الضوابط والأعراف القانونية.

وهكذا لعبت الشجاعة دورها الأكبر في تجارة عبدالرحمن بن عوف، وقدمت لنا العديد من الدروس ومن بينها أننا عندما نفشل أو نخسر، لا يعني أننا لن ننجح، ومنها أن العمل بجدية هو سر النجاح، ومنها أيضاً أننا مهما جمعنا من المال فكله لله ومن الله وبفضل الله تعالى، ومنها أن نتواضع مع من نتعامل، وطلب الخير والنصيحة من أهل الخير والصلاح، وإذا خشينا على أنفسنا فتنة المال، فلابديل إلا الإيثار والمداومة في الصدقات.

• نظريات عبدالرحمن بن عوف في التجارة

1- الإيمان واليقين بأن المال، مال الله وأنه موكل بإدارته وحسن التصرف فيه.

2- البعد عن التبذير والإسراف. حفاظاً على رأس المال واستثماره.

3-تحديد الهدف الذي يسعى إليه وفي ذلك توفيراً للوقت والجهد.

4- التخطيط السليم، القائم على استثمار الإمكانيات المتاحة للوصول إلى الهدف.

5-تحديد الوسائل والأعمال المطلوبة للحصول على المال.

6- تنظيم الأعمال وربطها بعنصر الوقت، وهذا من أهم سمات رجل الأعمال والتاجر الناجح الذي يستشعر قيمة الوقت في أعماله لأن الصفقات الناجحة لا تنتظر أحداً.

7- المبادرة والمثابرة، بمعنى السعي إلى العمل الناجح والبحث عن الفرص والتحلي بالصبر في ذلك وعدم اليأس.

8- دراسة الفرص وتحليلها ومعرفة التميز، وتعتبر هذه الخطوة من أهم الخطوات لقيام المشروع وترجع أهميتها إلى معرفة احوال السوق واستغلال الفرص التسويقية المتاحة لتخفيف التمير والنجاح.

9- تحمل المسؤولية، فالتاجر الناجح هو من يدرك حجم المسؤولية تجاه أعماله فلا يغتر بماله مهما كثر لأن التراخي لا يفقده الربح فقط بل يضيع الأصول أيضاً.

10- الأخذ بالمخاطرة، وهذا يتطلب جرأة في التاجر لأن المخاطرة كما تحمل السلبية فهي أيضاً فرصة للكثير من الإيجابيات بشرط الحيطة وتقييم الموقف.

11- إدارة الوقت، فالوقت هو رأس المال الحقيقي، وهو مورد هام من موارد الإدارة، كما أنه المقياس الذي تعتمد عليه سرعة الإنجاز والمنافسة. لذا على التاجر استثماره بأفضل صورة ممكنة، بما يحقق أهدافه، والمنافسة.

12- التبرع والصدقة، الصدقة تقرب المتصدق من ربه وتمنحه طاقة روحانية هائلة، وبذلك تساعد على نمو رأس المال وزيادة الأرباح لانها مفتاح لكل أزمة، مفتاح لكل عسرة، مفتاح لكل مأزق.

- ## مبادئ عبدالرحمن بن عوف في ريادة الأعمال

المبدأ الأول : معرفة السوق

إن المبدأ الأول لرجل الأعمال الناجح هو أن يتعر ف على السوق في البداية، فقبل أن يبيع أو يشتري عبدالرحمن بن عوف قال: دلني على السوق.

فنجد الكثير من رجال الأعمال يقومون بتصنيع المنتج، ثم يحاولون بعد ذلك تصريفه وبيعه وقد ينجحون في ذلك، وقد يخفقون، لأنهم لم يدرسوا السوق. ولكن رجل الأعمال الناجح هو الذي يدرس السوق في البداية ليتعرف على مجموعة من المعلومات مثل:_

- احتياجات المستهلكين وسلوكهم.

- من هم المنافسون والموردون والموزعون.

- مستوى الأسعار السائدة بالسوق.

وكثير من المعلومات التي تتحكم في سلوكيات السوق وتوجهاته تجعل رجل الأعمال قادراً على تصميم وتصنيع منتجه بفاعلية وكفاءة بما يناسب السوق.

المبدأ الثاني: الاستشارة

ويتجسد هذا المبدأ في قول عبدالرحمن بن عوف لسعد بن الربيع "دلني على السوق". فقد طلب الإرشاد ممن يعلم حيث أن سعد بن الربيع من سكان المدينة وعلى دراية بأسواقها. وهو بذلك

يطبق المثل "سكان مكة أدرى بشعابها" كما يطبق المثل الصيني القائل" أن تعلمني الصيد خير من أن تعطيني كل يوم سمكة" ولكن للأسف كثير من رجال الأعمال يستكبر أن يسأل عما لا يعلم.

وتعتبر الاستشارة وسؤال أهل الخبرة وسيلة للحصول على البيانات والمعلومات التي تساعد في اتخاذ القرارات السليمة والتخطيط والتنظيم ونجاح المشاريع والأعمال وتوفير المال والوقت والجهد.

المبدأ الثالث: رأس المال الفكري أهم من رأس المال المادي

أسس عبدالرحمن بن عوف بنجاح تجارته وأعماله لمبدأ هام في عمر الدول وتقدمها وهو أن تهتم بالاستثمار في القوى البشرية، وذلك من خلال توفير التعليم الجيد والعمل على تنمية عقول أبنائها لأنهم الأساس في تحقيق التنمية، حتى ولو كانت الإمكانيات المالية قليلة.

فقد جاء عبدالرحمن مهاجراً لا يملك درهماً ولا ديناراً ولكنه يملك المعرفة، تلك المعرفة التي تجلت واضحة في طلبه "دلني على السوق" فهو يعرف احتياجات المستهلكين وكيفية تلبيتها. تلك المعرفة التي جعلته قادراً على بناء ثروة هائلة في غضون فترة قصيرة، ليؤكد أن قوة رجل الأعمال الحقيقة تكمن في معرفته وفكره وليس في ماله.

المبدأ الرابع : أحكام الشريعة مربحة

كان عبدالرحمن بن عوف يطبق أحكام الشريعة كاملة في تجارته وأعماله فكانت سبيله لتكوين تلك الثروة الهائلة، وتفوقه على عمالقة التجارة والاقتصاد ممن حوله من اليهود، الذين يتعاملون بما يخالف أحكام الشريعة. وفي ذلك رد على ظن كثير من الجهلاء بأن من يطبق أحكام الإسلام سيخسر في المعاملات والأموال كمن يضرب بأحكام الشريعة عرض الحائط ويتعامل بربا البنوك والقروض غير الحسنة.

المبدأ الخامس : المال وسيلة وليس غاية

فهذا هو عبدالرحمن بن عوف، الغني المؤمن، الذي يكون سيداً للمال، وليس عبداً له، فقد استخدم المال في سبيل الجنة، في سبيل مرضاة الله عز وجل، في سبيل أن يفوز بجنة عرضها السموات والأرض وأن يرضى الله عنه. لذا كان يمثل خلق الإسلام في كل عمله فلم يغش ولم يكسب من حرام.

وهو ما شهد به عثمان بن عفان عندما أخذ نصيبه من وصية عبدالرحمن بن عوف لأهل بدر رغم ثرائه، وقال: "إن مال عبدالرحمن بن عوف حلال صفو، وإن الطعمة منه عافية وبركة فالمخلص سيد ماله، ولم يكن عبداً له". وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "تعس عبد الدينار والدرهم والقطيفة والخميصة، إن أُعطي رضي، وإن لم يعط لم يرض". (أخرجه ابن ماجة في صحيحه عن أبي هريرة وصححه الألباني في صحيح الجامع).

المبدأ السادس: المال الحلال

كان عبدالرحمن بن عوف محظوظاً في التجارة، وكان يقول: "لقد رأيتني لو رفعت حجراً لوجدت تحته ذهباً وفضة". سألوه ذات مرة: بما حققت هذه الثروة يا عبدالرحمن ؟ قال: "والله ما استقللت ربحاً ولابعت دَيناً، تجارة الدِّين ليست تجارة، بل هي ذل وتسول وفقر وهم". فقد كان رضي الله عنه ذو ثلاثة أطوار : فهو إما في المسجد، وإما إنه في غزو مع رسول الله، وإما أنه في تجارته.

ومما يذكر عنه رضي الله عنه أنه لم يتردد في بيعه، وكان يأخذ بمبدأ اللهم ارزقني وارزق مني، لذا يسعى في تحقيق الربح المعقول بعيداً عن الطمع.

- **نفقات عبدالرحمن بن عوف في سبيل الله**

بقيت دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم لعبدالرحمن بن عوف بأن يبارك الله له تظلله ما امتدت به الحياة، حتى غدا أغنى الصحابة وأكثرهم ثراء، فقد أخذت تجارته تنمو وتزداد، فطفقت عيره تتردد ذاهبة من المدينة أو آيبة إليها تحمل لأهلها البُر والدقيق، والدهن، والثياب، والآنية، والطيب، وكل ما يحتاجونه. وتنقل ما يزيد عن حاجتهم مما ينتجونه.

ومن عقال إلى عقال، جمع عبدالرحمن بن عوف هذا المال العظيم، جاء به من التجارة، ونما بالصدقة، فلما مرض أخرج ثلث ماله فتصدق به بيده، لأن العبد من الأفضل له أن يعطي وهو صحيح، يخاف الفقر، ويرجو الغنى، لا أن ينتظر حتى يحتضر فيقول: هذا لفلان، وهذا لفلان. لأن من ينفق وصيته في حياته كمن يوكل من يسير له بالمصباح بين يديه يضيء له الطريق. ومن يوصي بما ينفق بعده كمن يوكل من يحمل له المصباح ويمشي وراءه.

امتلأت يديه بالمال ولكن لم تمتلئ بحبه لنفسه، فلما كان جيش العسرة، ودعا الرسول صلى الله عليه وسلم الصحابة إلى البذل، وكان عند عبدالرحمن ثمانية آلاف، فجاء بنصفها، فقدمه إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقال:

"كان عندي ثمانية آلاف، فأمسكت أربعة آلاف لنفسي وعيالي، وأربعة آلاف أقرضها لربي".

فرووا أنه صلى الله عليه وسلم قال له: "بارك الله لك فيما أمسكت وفيما أعطيت".

وكانت هذه الدعوة سبباً من أسباب زيادة الرزق لعبدالرحمن بن عوف.

فعبدالرحمن بذل راضياً فرحاً، لأن المال كان في يده لا في قلبه، وهذا هو الزهد الحقيقي، لا زهد الذين يسلكون من جهلهم البادية بلا زاد، ولا الذين يتركون الكسب الحلال، ويكونون كلاً على العباد.

وأنزل الله فيه وفي عثمان ومن بذل يومئذ قوله تعالى "والذين ينفقون أموالهم في سبيل الله ثم لايتبعون ما أنفقوا مناً ولا أذى لهم أجرهم عند ربهم ولاخوف عليهم ولاهم يحزنون". (البقرة : 262)

وضاعف الله مال عبدالرحمن بن عوف، وبارك له فيه، لأن الصدقة أربح تجارة في الدنيا وفي الآخرة، فقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم: (مانقص مال من صدقة). وقال تعالى "مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مئة حبة والله يضاعف لمن يشاء". (البقرة : 261)

وطابت له تجارته، فعاد فتصدق بأربعين ألف درهم، وضاعف الله ماله وبارك له فيه، فعاد فتصدق بأربعين ألف دينار، قسمها على أمهات المؤمنين، وفي بني زهرة، وفي فقراء المسلمين.

وضاعف الله ماله، وبارك فيه، فعاد فتبرع للجيش المجاهد بخسمئة فرس، ثم عاد فتبرع بعدها بألف وخمسمئة فرس.

ثم نادى: يا أصحاب رسول الله، كل من كان من أهل بدر له علي أربعمئة دينار، فقام عثمان فذهب مع الناس ليأخذ، فقيل له: يا أبا عمرو، ألست غنياً؟

قال: هذه صلة لا صدقة، وهي من مال حلال.

فكان مبلغ ما وصلهم به ووصل غيرهم مئة وخمسين ألف دينار.

وبلغ من سعة عطائة وعونه أنه كان يقال: أهل المدينة جميعاً شركاء لابن عوف في ماله، ثلث يقرضهم، وثلث يقضي عنهم ديونهم، وثلث يصلهم ويعطيهم.

وباع أرضاً له بأربعين ألف دينار، فقسم ذلك في فقراء بني زهرة، وفي ذوي الحاجة من الناس. وفي أمهات المؤمنين. قال (ابن أخته) المسور: فأتيت عائشة بنصيبها من ذلك، فقالت: من

أرسل بهذا؟

قلت: عبدالرحمن بن عوف.

قالت : "إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ، لا يحنو عليكن بعدي إلا الصابرون. سقى الله ابن عوف من سلسبيل الجنة". (حديث مرفوع رقم 720).

بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم سُمع في المدينة ضجيج، وتعالى غبار في الأفق، فسألت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، وقد ترامى إلى سمعها أن قافلة عظيمة زاحفة إلى المدينة: ما هذا الذي يحدث في المدينة؟ فقالوا لها: يا أم المؤمنين، إنها قافلة لعبدالرحمن بن عوف، جاءت من الشام تحمل تجارة له، قالت أم المؤمنين: قافلة تحدث كل هذه الضجة؟ قالوا: أجل يا أم المؤمنين، إنها سبعمئة راحلة. فهزت أم المؤمنين رأسها وأرسلت نظرتها الثاقبة بعيداً كأنها تبحث عن شيء، عن ذكرى مرت بها، أو عن حديث سمعته، ثم قالت: "أما أني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم، يقول: رأيت عبدالرحمن بن عوف يدخل الجنة حبواً" يعني زحفاً. (المسند 4/ 249 – 250).

ولماذا لا يدخلها جرياً وركضاً و خبباً؟ و إنه من الصحابة السابقين السابقين، ومن الصحابة الذين شهدوا بدراً وأحد والخندق، وهاجروا إلى الحبشة مرتين وكان ثامن مسلم دخل الإسلام، ومن العشرة المبشرين بالجنة.

وهنا نقل بعض الصحابة ما قالته السيدة عائشة إلى عبدالرحمن بن عوف وهو ليس نقل نميمة ولكن نقل نصيحة، وهناك فرق كبير بين من ينقل الخبر شامتاً، وبين من ينقله ناصحاً، وتذكر عبدالرحمن قول النبي صلى الله عليه وسلم. وقبل أن تُفض مغاليق الأحمال أسرع خطاه إلى بيت عائشة، وقال لها: لقد ذكرتيني بحديث لم أنسه، ثم قال: أما إني أشهدك أن هذه القافلة كلها بأحمالها وأقتابها وأحلاسها في سبيل الله، ثم قال والله لأدخلنها خبباً وليس حبواً.

وقد يظن البعض أن هناك تعارضاً بين كلام السيدة عائشة وكلام عبدالرحمن بن عوف ولكن حل المشكلة يكمن في الحديث الذي قاله النبي صلى الله عليه وسلم لعبدالرحمن بن عوف: "يا ابن عوف إنك من الأغنياء، وإنك ستدخل الجنة حبواً، فأقرض الله يطلق لك قدميك". وبذلك أعطى النبي صلى الله عليه وسلم الحل، والنبي صلى الله عليه وسلم ما أراد أن يثبطه، أو يجعله ييأس، قال له إنك

غني، والأغنياء عادة تشغلهم أموالهم، وتنمية أموالهم واستثمارها. فإذا آمنوا واستقاموا دخلوا الجنة حبواً، أقرض الله يطلق لك قدميك فهو يعرف الطريق.

هذه الواقعة تمثل الصورة الكاملة لحياة صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم عبدالرحمن بن عوف.

فهو التاجر الناجح، أكثر ما يكون النجاح وأوفاه وهو الثري، أكثر ما يكون الثراء وفرة وإفراطاً وهو المؤمن الأريب، الذي يأبى أن تذهب حظوظه من الدنيا بحظوظه من الدين، ويرفض أن يتخلف بثراؤه عن قافلة الإيمان ومثوبة الجنة... فهو _ رضي الله عنه_ يجود بثروته في سخاء وعطاء وغبطة ضمير.

وهذا هو من ينفق دون خشية الفقر على من بعده. كما في الحديث القدسي " عبدي أعطيتك مالاً فماذا صنعت فيه؟ يقول: يارب لم أنفق منه شيئاً مخافة الفقر على أولادي من بعدي، يقول الله عز وجل: ألم تعلم أني الرزاق ذو القوة المتين، إن الذي خشيته على أولادك من بعدك قد أنزلته بهم، يقول لعبد آخر آتاه مالاً: أعطيتك مالاً فماذا صنعت فيه؟ يقول: يارب، انفقته على كل محتاج ومسكين لثقتي أنك خير حافظاً، وأنت أرحم الراحمين، فيقول الله عز وجل: أنا الحافظ لأولادك من بعدك". (رياض الصالحين، باب الصبر، 100 – 101).

وهكذا كان ابن عوف الذي أنفق ولم يخش من ذي العرش إقلالا فحفظ الله له ذريته وبارك فيها.

وبقى من ماله، بعد كل هذا، شيء لا يكاد يحصى، حتى كان حق كل واحدة من زوجاته الثلاث من النقد وحده دون الابل والخيل والغنم ثمانون ألفاً.

وكان هذ كله ببركة التجارة، وكان هذا شأن المسلمين، يتاجرون، فيكسبون، وينفقون، ويتصدقون، أو يصبرون ويقنعون بما يجدون وليس بينهم من يمد يده إلى الناس ليأكل الدنيا بالدين، ويعيش من كد غيره.

• عبدالرحمن يخشى فتنة المال

كان في نعمة سابغة، وكان يلبس البرد أو الحلة بأربعمئة درهم أو بخمسمئة، وتزوج امرأه من الأنصار فجعل مهرها ثلاثين ألفاً، وليس في ذلك من بأس، والإسلام لا يحرم الغنى، ولا يمنع العيش الرخي، ما دام قد جمع المال من حلال، وأنفقه في غير الحرام، "قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق" (الأعراف : 32)

وفي وسط هذا الغنى كان عبدالرحمن بن عوف يخاف أن يكون الله قد عجل له المكافأة في الدنيا، دخل بيته يوما فأغتسل ثم خرج فجلس مع أضيافه، وأتوهم بصفحة فيها خبز ولحم، فلما وضعت بكى.

فقالوا له : مايبكيك يا أبا محمد ؟

قال: مات رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يشبع هو وأهل بيته من خبز الشعير ولا أرانا أخرنا لما هو خير لنا.

وأتي مرة بطعام وكان صائماً، فلما تقدم ليأكل كف يده وقال:

قتل مصعب بن عمير وهو خير مني، فكفن في بردة إن غطي بها رأسه بدت رجلاه، وإن غطت رجلاه بدت رأسه، وقتل حمزة، وهو خير مني فلم يوجد ما يكفن به، ثم أعطينا من الدنيا ما أعطينا، وقد خشينا أن تكون حسناتنا قد عجلت لنا. ثم جعل يبكي حتى ترك الطعام.

لم يترك ثراؤه العريض ذرة من الصلف والكبر في نفسه. حتى قيل عنه: إنه لو رآه غريب لا يعرفه وهو جالس مع خدمه، ما استطاع أن يميزه من بينهم.!! بل إنه في ثراءه هذا لم يتوان يوماً في الدفاع عن دين الله حتى أن الإصابات تركت فيه عرجاً وهتماً.

وقد عودتنا طبائع البشر أن الثراء ينادي السلطة.. أي أن الأثرياء يحبون دائماً أن يكون لهم نفوذ يحمي ثرائهم ويضاعفه، ويشبع لديهم شهوة الصلف والاستعلاء والأنانية التي يثيرها الثراء عادة....

لكن عبدالرحمن قهر طبائع البشر في هذا المجال وتخطاها إلى سمو فريد عندما ترفعت نفسه عن منصب الخلافة بعد مقتل عمر بن الخطاب.

وبلغ حد الأدب به أن رفض عرض السيدة عائشة أن يدفن بجوار الرسول وأبي بكر وعمر واستحى أن يرفع نفسه إلى هذا الجوار، وهذا هو صنع الإسلام الذي صاغه في أحسن تقويم.

• وصية عبدالرحمن بن عوف وتركته

لقد فتح الله على عبدالرحمن بن عوف أبواب الرزق الواسعة، وبارك له في تجارته، فسالت الأموال بين يديه وازدحمت خزائنة بالذهب والفضة، فوقف منها موقف المؤمن الذي يعرف موقع المال في النفس، ويفقه وظيفة المال في الحياة، فبسط يمينه بالعطاء والصدقات والنفقات، فكانت الأرزاق تزداد كلما ازداد هو إنفاقاً، وكان هذا تصديقاً وعملاً بالحديث النبوي الصحيح الذي رواه هو عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " ثلاثه أقسم عليهن: ما نقص مال قط من صدقة، فتصدقوا. ولا عفا رجل عن مظلمة ظُلمها إلا زاده الله بها عزاً، فاعفو يزدكم الله عزاً، ولا فتح رجل على نفسه باب مسألة يسأل الناس، إلا فتح الله عليه بابا فقر".

ولما توفي ترك في خزائنه أموالاً طائلة تحدث عنها الرواة، ونقلت أخبارها كتب الثقات.

أوصى عبدالرحمن عند موته بأموال كثيرة، وترك لورثته تركة كبيرة. ومما يقال في ذلك أنه أوصى لكل رجل ممن بقي من أهل بدر بأربعمئة دينار، وكانوا مئة، فأخذوها حتى علي، وعثمان. وأوصى بخمسين ألف دينار، وألف دينار في سبيل الله.

أما تركته فقد قال ابن عبدالبر: خلف ابن عوف ألف بعير، وثلاثة آلاف شاة، ومئة فرس، وكان مما ترك ذهباً قُسم بين ورثته بالفؤوس حتى خشيت أيدي العمال من كثرته.

وقال مجاهد، وابن سيرين: اقتسم نساء ابن عوف ثمنهن، فكان ثلاثمئة وعشرين ألفاً، فأصاب كل واحدة منهن ثمانين ألفاً.

وعن أنس أن نصيب كل أمرأة من نسائه بعد موته كان مئة ألف. وأوصى عبدالرحمن قبل وفاته بحديقة لأمهات المؤمنين، قُدرت بأربعمائة ألف، وأورث أولاده الدور، وأهمها دار القضاء،

فقاموا ببيعها لمعاوية بن أبي سفيان، فجعل فيها الدواوين والصوافي، وبيت المال، وفي فترة حكم العباسيين هدمت وضمت إلى المسجد النبوي، وورث ابنه حميد الدار الكبرى.

وهكذا فقد كان عبدالرحمن بن عوف من أغنياء زمانه، بل لعله كان أغناهم، وذلك بفضل بركة الله في رزقه. وإنفاقه في سبيل الله. مما انعكس على مكانته ومكانة قبيلته بني زهرة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية.

الفصل الرابع

السمات والقواسم المشتركة للأثرياء

- الأمير وليد بن طلال
- الشيخ سليمان الراجحي
- الشيخ محمد بن عيسى الجابر
- بيل غيتس
- كارلوس سليم

في هذا الفصل سوف نسلط الضوء على خمس من المليارديرية المعاصرين لنتعرف على بعض السمات المشتركة في حياتهم والتي تشبه إلى حد كبير ما كان عليه عبدالرحمن بن عوف في طريقة جمع المال ثم تعامله معه سواء في الإنفاق أو فعل الخير، وكذلك رؤيتهم للمال وموقعه من الحياة وضرورة استثماره بما يحقق تنمية المجتمع. وفي تناولنا لهذه الشخصيات نركز على بعض عوامل النجاح التي ساعدتهم في تكوين الثروات مثل المخاطرة، والمثابرة، والتنوع، والتركيز، والأعمال الخيرية. ورغم أن بعض من سنتناولهم هم من غير المسلمين إلا أن المؤكد أن سخاء النفوس وسموها وتحليها بالأخلاق الفاضلة قد يتحقق لدى الشخص ولو كان غير مسلم. فالتاريخ لا يخلد أرقام الأرصدة، ولكن يخلد المآثر والذكرى الطيبة.

ومن خلال الطرح نرى أن النفس لن تشعر بحلاوة المال ولن تجني ثماره إلا إذا استفاد المجتمع منه وأفاض صاحب المال على من حوله من الخير والنفع، لأن المجتمعات في أشد الحاجة إلى جهود أبنائها ومساهماتهم حتى يتحقق الرخاء للشعوب. والهدف من تناول مسيرة هؤلاء الأثرياء يكمن في استخلاص القواعد والأسس التي ساروا عليها لتكون عبرة لكل من يتحسس طريق النجاح في تحقيق الثروات والشهرة، ولتكون تجارب ناجحة يمكن الاستفادة منها.

والشخصيات التي تناولناها هي:

- الأمير وليد بن طلال
- الشيخ سليمان الراجحي
- الشيخ محمد بن عيسى الجابر
- بيل غيتس
- كارلوس سليم

• الوليد بن طلال

النشأة

يتبوأ الأميروليد بن طلال المرتبة (41) عالمياً والأولى عربياً طبقاً لقائمة "فوربس" لأثرياء العالم، بثروة (17.3(مليار دولار. وقد لعبت النشأة والأسرة، علاوة على المناخ الاقتصادي والاستثماري في المملكة العربية السعودية دوراً كبيراً في تشكيل شخصية الوليد وتكوين ثروته.

وِلد الأمير الوليد بن طلال في عام(1955 م(وهو حفيد لرجلين عربيين بارزين هما الملك عبدالعزيز آل سعود، مؤسس المملكة العربية السعودية، والزعيم رياض الصلح أول رئيس وزراء لدولة لبنان وأحد أبرز قادتها إلى الاستقلال.

وكان للإنجازات الكبيرة التي حققها هذان الرجلان المتميزان أثرها الواضح في تكوين شخصية تميل نحو التفوق والمثالية لدى الأمير.

وقد بدأت ملامح هذه الشخصية الفذة بالظهور خلال سنوات الدراسة الأولى واستمرت حتى يومنا هذا. ففي عام (1979) حصل الأمير الوليد على شهادة البكالوريوس في إدارة الأعمال بمرتبة الامتياز من كلية منلو بكاليفورنيا، وفي عام (1985) حصل سموه على شهادة الماجستير في العلوم الاجتماعية بمرتبة الشرف من جامعة سيراكيوز بولاية نيويورك.

وتقديراً لإنجازاته العديدة في مجالي الأعمال والنشاطات الاجتماعية، نال سموه الكثير من شهادات التقدير وأوسمة التكريم من مجموعة كبيرة من المنظمات والجمعيات وملوك ورؤساء الدول، كما تضمن التكريم الشهادة الفخرية من جامعات كبرى في كل من الولايات المتحدة الأمريكية، وبريطانيا، وكوريا، ومصر، وماليزيا، وغانا، والفلبين، وفلسطين، وتونس، وأوغندا،

واندونسيا، وبلغاريا، ومدغشقر وغيرها. وكانت هذه الشهادات تمنح للأمير الوليد بن طلال لمساهمات سموه المالية في التعليم ودعمه للتحاور والتعايش بين مختلف شعوب العالم، ومساعدته لضحايا الكوارث الطبيعية والفقراء والمعوزين دون تفريق بين جنسياتهم أو أعراقهم أو دياناتهم.

البداية " رحلة المليارات"

بعد اكتشاف الذهب الأسود في السعودية كان الأمير الوليد بن طلال في ذلك الوقت يدرس في جامعة "منلو" بالولايات المتحدة، وكان يأخذه الشوق للعودة إلى وطنه للاستفادة ما أمكن من بيئة الأعمال المزدهرة هناك، ولذلك خطى دراسته في كلية منلو بسرعة وتمكن من إنهائها قبل الموعد بسنة.

عندما عاد إلى الرياض وبما لديه من حماس ومؤهلات وجد أن البيئة مشجعة وأن بوسع كل من يمتلك الحس الصحيح لممارسة الأعمال النجاح في هذه البيئة، حتى ولو لم يكن لديه رأسمال كبير حيث كانت هناك فرصاً كثيرة للأعمال في ظل ارتفاع أسعار النفط، والطفرة الكبيرة في أسعار العقارات.

كان السائد في ذلك الوقت لدى رجال الأعمال وسيما من لهم صلات بأصحاب سلطة اتخاذ القرار هو الحصول على العمولات التي كانت تقدر بنسبة 5%، فلكي تتمكن شركات الأعمال من ممارسة العمل في السعودية كان عليها أن تتخذ لها شركاء وممثلين محليين. لكن الوليد قرر أن يتخذ لنفسه خطاً مختلفاً وهو أن يشارك في الأعمال. وبالفعل تمكن من الحصول على عدة عقود استئجار سنوية وقام باستثمار أمواله في العقارات وتوسع بشكل كبير. وبالرغم من الصلات والعلاقات القوية التي يمتلكها إلا أنه كان يريد أن تعرف الشركات الأجنبية التي يتعامل معها أن لديه خبرة في طريقة ممارستها للأعمال التي تقوم بها، كما أنه تحدى الظروف في تطبيق ثقافته التي اكتسبها من دراسته بالولايات المتحدة وفق القيم والمعايير الغربية. وذلك رغم أن بيئة الأعمال في السعودية كانت غير ناضجة.

بعد سلسلة من التجارب والممارسات في التجارة استطاع توفير رأس المال المناسب ليؤسس شركته "مؤسسة المملكة" عام (1980) وإلى جانب هذا المبلغ حصل الأمير الوليد من والده على

المكان الذي يباشر أعماله منه والذي كان عبارة عن مكتب صغير يتكون من أربعة غرف الأولى كانت مكتب له، الثانية للسكرتير، والثالثة للمدير، والرابعة مطبخ.

وكانت البداية ضعيفة جداً حيث نفدت النقود في خلال ثلاثة شهور مما اضطره إلى اللجوء إلى أحد البنوك السعودية الأمريكية والذي كان مملوكاً لسيتي بنك وطلب منه قرضاً فأعطاه البنك مليون ريال بما يوزاي (300) ألف دولار وذلك مقابل رهن المنزل الذي أعطاه له والده.

وجاءت الفرصة الأولى الكبيرة عام(1982) على شكل اتفاق عقده مع شركة كورية جنوبية، وكانت هذه الشركة قد فازت بعقد قيمته ثمانية ملايين دولار لبناء نادي للضباط في ثكنة عسكرية قرب العاصمة السعودية، وأخذ الأمير حصة في المشروع وأعاد استثمار معظم الأموال التي جناها بدلاً من أن يأخذ نصيبيه لقاء تسهيل العقد. وقد عادت هذه الفلسفة التي لا تقوم على كسب المال وإنفاقه بل إعادة استثماره بعناية وطبقاً لاستراتيجية طموحة على رجل الأعمال الشاب الحاد الذكاء بأرباح ضخمة.

وكانت القفزة الكبيرة في الوضع المالي للأمير بعد انتقاله إلى الأسواق الدولية مع بداية التسعينات، وقد حقق المليار الأول له عام(1989)، عندما تمكن من تكوين مبالغ طائلة من خلال المشاريع المشتركة مع الشركات بدلاً من الحصول على العمولات البسيطة.

عوامل النجاح عند الوليد بن طلال

1- التنوع

إن ما يميز الأمير الوليد بن طلال أن أمواله لم تأت من منتج مبتكر رابح واحد مثل مايكروسوفت التي أسسها بل غيتس أو أوراكل لمؤسسها (لاري اليسون) أو مخازن وال-مارت لعائلة والتون. ولكنه صنع ثروته على غرار المستثمر الأمريكي (وارن بوفيت) لممارسة الأعمال على الطريقة الغربية، والربح في وول ستريت.

وقد ترك الوليد بصمته في الكثير من بلدان العالم وأحرز نجاحات تجارية كبيرة. وعمل صاحب السمو الملكي على تركيز استثماراته من خلال شركة المملكة القابضة التي تأسست عام

1980 تحت مسمى مؤسسة المملكة للتجارة والمقاولات، ثم تغير اسمها عام 1996 وأصبحت اليوم إحدى أكبر الأسماء في العالم وأكثرها تأثيراً في الاستثمارات.

وتكمن القوة الحقيقة لمحفظة شركة المملكة القابضة الشاملة في توزيع استثماراتها في العديد من الدول بجانب تنوعها في المجالات الاستثمارية حيث تتراوح مصالحها بين العقارات والخدمات المالية والتكنولوجيا والزراعة والإعلام والرعاية الصحية، كما نالت الشركة التقدير نظراً لمصالحها الاستثمارية المتخصصة، إذ تدير شركة المملكة القابضة مجموعة من الفنادق ومصالح الأغلبية في شركات إدارة الفنادق العالمية الأمر الذي عزز موقعها بوصفها أكبر شركات الاستثمار الفندقي في العالم وتمتلك الشركة مجموعة واسعة من الخيارات من خلال بعض الشركات العالمية والعلامات التجارية الأكثر شهرة، مثل أبل وتايم وارنر وسيتي غروب ومجموعة سامبا المالية وشركة بيبسي وولت ديزني وفوز سيزون وسويس أوتيل وموفنبيك ونيوزكورب وتويتر.وبالإضافة إلى ذلك يمتلك الأمير الوليد "مجموعة روتانا" وتعتبر ذراع الاستثمار الإعلامي له، وتتخصص في الاستثمار في مختلف المجالات الإعلامية من محطات تلفزيونية وإذاعية ومطبوعات، وتقديم الخدمات الإعلامية وإنتاج الأفلام، بالإضافة لأكبر مكتبة أفلام عربية في العالم. هذا علاوة على قناة "العرب" الإخبارة العالمية التي تقوم بتغطية أحدث التطورات العالمية.

2- التركيز ودراسة الفرص

كانت المقاولات والعقارات مجال اهتمامه الأول، وقد بحث عن الفرص الكبيرة ولم يكن يخش ركوب المخاطر. ومن ذلك أنه فاتح مالك قطعة أرض كبيرة في وسط الرياض بأمر شرائها، لكن صده السعر المرتفع الذي طلبه صاحبها. لم تكن الأرض تلك الفرصة التي يسعى الوليد إليها، لكنه تابع مراقبة الموقف بعناية. وعندما غزت قوات العراق الكويت في أغسطس (1990)، شعر العديدون في أماكن أخرى من العالم العربي أن الوضع لن يحسم بسرعة.

وكان مالك الأرض السعودي أحدهم. ويقول الأمير وليد: "اشتريت الأرض في خضم حرب الخليج. في ذلك الوقت شعر المالك بالهلع فباعها بثلث سعرها" وكانت توقعات الوليد عكس الآخرين فكان يرى أن الحرب ستنتهي بسرعة وأن القول بأن العراق سيربح الحرب ضد الولايات المتحدة

كان ضرباً من السخافة والحماقة. لذا اشترى الأرض بثلث ثمنها وقسمها إلى عقارات بنى على ثلثها مركز المملكة الذي يعتبر أعلى مبنى في أوربا والشرق الأوسط وإفريقيا.

وباع بقية الأرض بعد ثلاث أو أربع أعوام وحققت عائداً يفوق (400) بالمئة. وبذلك جعلت المغامرة من الوليد بن طلال مالك أكبر أراضي خاصة في العاصمة السعودية التي بلغت حوالي (25) مليون متراً مربعاً.

3- المخاطرة

رغم نجاح استثمارات الأمير الوليد في العقارات والبناء في المملكة العربية السعودية في الثمانينات إلا أنه كان يعرف أن عليه أن يقفز إلى مستوى آخر، وأن يكون لاعباً فاعلاً ممن يصنعون الأسواق وليس ممن يتأثرون بها فقط. وباتباع المبدأ الأساس الذي يرى ان البنوك هي عين الاقتصاد بدأ الوليد يجري أبحاثاً في قطاع المصارف في المملكة، وقد وفر له الفحص الدقيق صورة واضحة عما يحدث في القطاع المالي، وقد أدهشه أن وجد ان المصارف السعودية المحلية متخمة بالموظفين، ورديئة الإدارة، ومستغلة بشكل مفرط، وتسير بصعوبة.

وبعد ذلك التقييم وجد نفسه أمام نوعين من البنوك: النوع الأول لديه مساهمون أجانب، مثل البنك السعودي الأمريكي وكان يوجد فيه مجموعة سيتي بنك، والبنك السعودي الهولندي، والبنك السعودي الفرنسي، والبنك السعودي البريطاني، لذا استبعد كل هذه البنوك من التقييم. لأن السيطرة تعود إلى شركاء أجانب، كما أنه لم يكن لديه المال الكافي ليتمكن من السيطرة على أي من هذه البنوك.

وكان هناك مصارف أخرى مثل البنك الأهلي التجاري ولم يكن لديه المال الكافي أيضاً. ليستحوذ عليه. لذا لم يتبق سوى مصرفين أو ثلاثه صغار. وفي النهاية أخذ أسوأ البنوك وهو البنك السعودي التجاري المتحد بعد دراسة وتحليل فاشتراه ونظفه من كل ديونه المعدومه. وفي سنة (1986) فاجأ الأمير المجتمع السعودي بإعلانه أنه بات يسيطر على هذا البنك بامتلاكه نحو (7%) من أسهمه وموافقة المساهمين الكبار على أن يتولى إدارته.

واستطاع الأمير هيكلة البنك، ومن خلال ذلك تمكن أن يضع نفسه في وسط مجتمع الأعمال، وان يرى كل شيء ويشارك في البناء والزراعة والصناعة والتجارة، ويبني علاقات، وصلات مع مجتمع الأعمال ويتعرف إلى المشاهير منهم من خلال إدارة التمويل الخاص وإدارة تمويل الشركات وإدارة الاستثمار.

4- الهمة والمثابرة

بعد إقدام الوليد بن طلال على الاستحواذ على البنك التجاري السعودي، أمضى الشهور القليلة الأولى مع كل فرد من مستوى مدير وما فوق، تحدث إليهم واستمع إلى مشاكلهم وتعرف على ما يجري، في البنك على مختلف المستويات. وأمضى الوقت الكافي في إدراك ما الذي يجري في البنك بصورة جيدة.

وضع الوليد استراتيجية في إنقاذ البنك فبدأ بتخفيض النفقات وكان صارماً في هذا المجال، وتولى بنفسه إجراء المقابلات مع كل شخص يأتي للعمل في البنك من مستوى مدير وما فوق لاختيار الأكفاء. وعلى الجانب الآخر تم تقليص عدد الموظفين العاملين في البنك من (600) موظفاً إلى (250) موظفاً بعد تدقيق شديد.

وبالنسبة للديون المعدومة تم تحصيل نسبة كبيرة منها وذلك بملاحقة المديونين ومقاضاتهم. وبذلك استطاع البنك أن يحقق أرباحاً وتدفقت النقود إليه مما ساعد البنك على تحسين سمعته واجتذاب المزيد من الشركات من خلال إدارة تمويل الشركات وإدارة الاستثمار.

وفي خضم ذلك لم يغفل الوليد وضع خطط للحوافز والمكافآت لتحفيز الموظفين الذين يعملون بشكل جيد مما كان له أكبر الأثر في رفع كفاءة العمل، هذا علاوة على أن الأمير كان قدوة لجميع العاملين بقضائه وقتاً طويلاً للعمل وتواجده للتعامل مع المشاكل بصورة شخصية، إلى أن أصبح لبنك السعودي التجاري أكثر البنوك السعودية التجارية ربحية، وفي تلك الأثناء رفع الأمير حصته في البنك إلى (30%).

5- الاستمرارية

بعد أن نجح الأمير في تجربته مع البنك التجاري السعودي أراد أن يخوض التجربة مع بنك آخر متعثر وهو بنك القاهرة السعودي الذي كان يعاني من نفس مشاكل البنك التجاري مثل الديون المعدومة وسوء الإدارة. وفكر الأمير في اتجاه آخر لم يكن معروفاً من قبل وهو الاندماج. وتم عرض فكرة الاندماج على بنك القاهرة السعودي ووافقوا عليها بعد أن حصل الأمير على حصة كبيرة من بنك القاهرة السعودي.

وبذلك استمرت صفقات الأمير في عالم البنوك حتى كانت المفاجأة الكبرى عام (1991) عندما ضخ (600) مليون دولار للاستثمار في سيتي بنك (سيتي جروب لاحقاً). وبذلك لمع أسم صاحب السمو الملكي الأمير الوليد في عالم المصارف، كما كان لهذه الخطوة أثرها في نمو الثروة الشخصية له بفضل العوائد الكبيرة التي حققها هذا العملاق المصرفي بعد أن استعاد صحته كاملة وعاد إلى موقعه باعتباره المؤسسة المالية العالمية الرائدة.

6- الأعمال الخيرية

تشمل تبرعات سمو الأمير الوليد بن طلال أكثر من (80) دولة وبلغت على مدى (30) عاماً أكثر من (3.2) مليار دولا أمريكي، وقد أنشأ ثلاثة مؤسسات خيرية بشعار "التزامنا بلا حدود" حيث تعمل هذه المؤسسات على جعل العالم مكاناً أفضل والمؤسسات الثلاثة هي: "مؤسسة الوليد بن طلال الخيرية –السعودية"، و "مؤسسة الوليد بن طلال الإنسانية- لبنان"، و "مؤسسة الوليد بن طلال الخيري العالمية -المسجلة بلبنان". تعمل المؤسسات محلياً وعلى مستوى منطقة الشرق الأوسط وعالمياً على مكافحة الفقر والبطالة ونشر ثقافة الحوار ما بين الأديان والحضارات بالإضافة إلى دعم المرأة والشباب.

تهتم "مؤسسة الوليد بن طلال الخيرية في السعودية" بدعم وتحفيز المنظمات والدراسات والمراكز الأكاديمية التي تهتم بشؤون المرأة السعودية، والتخفيف من معاناة الفقر، ورفع مستوى الخدمات المتوفرة للسكان، ودعم المشاريع في مجالات الرعاية الصحية والإسكان والبنية التحيتية وترجمة المصاحف، وطباعة وترجمة القرآن الكريم إلى (13) لغة.

تعمل "مؤسسة الوليد بن طلال الخيرية – العالمية"، للقضاء على ظاهرة الفقر وتقديم الإغاثات السريعة والفعالة للدول الفقيرة المتضررة من الكوراث الطبيبعية، وتوفير فرص التدريب والتعليم والعمل للنساء والشباب في منطقة الشرق الأوسط عن طريق دعم المشاريع الإنسانية التنموية بشراكة مع منظمات متخصصة في مجالها. كما تقوم المؤسسة بإنشاء ودعم الدراسات والمنتديات التي تشجع على الحوار والتقارب بين مختلف الأديان في العالم والمساهمة في الحفاظ على التراث الأدبي والفن الإسلامي في المتاحف العالمية.

أما بالنسبة لمؤسسة الوليد بن طلال الإنسانية في لبنان فتقوم بتوفير الخدمات الصحية وتقديم الدعم لملاجىء الأيتام، والمصحات العقلية، والسجون، وذوي الاحتياجات الخاصة، والمراكز التعليمية، وتنمية المشاريع الاقتصادية والزراعية. وتقديراً لجهود المؤسسة لدعم التعايش المشرتك بين جميع الطوائف اللبنانية وتشجيع الخطى المبذوله لدعم الحوار بين الأديان، ولمساهماتها الإنسانسة المتنوعة التي استطاعت أن توفرها للشعب اللبناني دون تمييز طائفي، منح البابا بنديكيت السادس عشر السيدة ليلى رياض الصلح نائب رئيس مجلس إدارة مؤسسة الوليد بن طلال الإنسانية في لبنان الميدالية البابوية خلال حفل رسمي رفيع اقيم في الفاتيكان.

وقرر الملياردير السعودي التبرع بكامل ثروته التي تبلغ قيمتها (32) مليار دولار لصالح الأعمال الخيرية. وأوضح سموه أن هذه الأموال منفصلة تماماً عن ملكيته في شركة المملكة القابضة وسيجري التبرع بها تدريجياً على عدة سنوات.

- ## سليمان الراجحي

النشأة

تقدر ثروة رجل المال والأعمال السعودي سليمان بن عبدالعزيز الراجحي بـ (7.4) مليار دولار حسب مجلة "فوربس" لعام (2016) ، و استطاع أن يبني امبراطوريته الاقتصادية من خلال المشاريع التي طورها وجعلها من أفضل وأنجح المشاريع المتخصصة في نشاطها.

لم يكن طريق الشيخ سليمان الراجحي مفروشاً بالورود، وإنما كان مليئاً بالصعاب التي استطاع أن يقهرها حتى وصل إلى قمة النجاح، بدأ حياته العملية طباخا وحمالا، ليصبح اليوم واحداً من أهم رجال الأعمال ليس في السعودية فحسب وإنما في المنطقة برمتها وحملت قصة كفاحه التي استمرت قرابة (80) عاماً في عالم التجارة الكثير من العبر، والدروس، والتي ترسم الطريق لكل باحث عن النجاح.

ولد الراجحي في "البكيرية" عام (1929) وهي إحدى مدن منطقة القصيم، وتعود أصوله إلى قبيلة بني زيد في نجد، وقد انتقل مع أسرته إلى الرياض بحثا عن الرزق، لم ينل نصيباً من التعليم، مثل بقية إخوته فقد كان دائم التغيب عن المدرسة، ولم تكن له رغبة في استكمال التعليم، حيث كان مشدوداً لعالم التجارة لذلك اكتفى بما تعلمه حتى السنة الثانية الابتدائية. ولم يستسلم للصعوبات التي رافقت مشواره، وقرر في إحدى مراحل حياته أن يعمل بائعا للطائرات الورقية، فاشترى واحدة بآخر قرش في جيبه، وفككها ليتعرف على طريقة صنعها، ثم جمع سعف النخيل ليصنع منها الطائرات، ويبيعها بنصف قرش. واجتهد خلال عمله مع أخيه الأكبر صالح ليتحمل مسؤولية نشاط الصرافة في جدة ومكة، فكان يحمل الطرود والأمانات على ظهره لإيصالها للمطار،

فيقطع ما يزيد على عشرة كيلومترات ليوفر أجرة الحمال والنقل، ولم يكتف بذلك فتاجر في أوقات فراغه في الأقفال والأقمشة ومواد البناء لتحسين دخله.

كما عمل في تجارة الكيروسين حيث لم تكن الكهرباء معروفة في ذلك الوقت، وكان "الكيروسين " يأتي من خارج المملكة في تنكات تعبأ في قوارير، وكان يربح من التجارة القليل جداً، وعمل حمالاً، ثم انتقل ليعمل طباخاً بإحدى الشركات التي كانت تعمل في مشاريع الدولة لكنه لم يستمر طويلاً، بسبب رفض الشركة زيادة راتبه أسوة بزملائه في العمل.

البداية

في عام (1945) استقل الراجحي واختار محلاً صغيراً للتجارة "البقالة" وكان دكاناً صغيراً بسبعة ريالات في السنة وكانت ثروته وقتها (400) ريال. وفي هذا الدكان استطاع بفضل الله تحقيق الكثير من النجاح في تجارة السكر والشاي والمفاتيح والكبريت والحلويات. وبعد ذلك بخمس سنوات بدأ العمل في مجال الصيرفة فكان يبيع ويشتري العملات مع الحجاج.

مابين عام (1945-1956) كنت انطلاقته في عالم الاقتصاد عندما اشتغل عند أخيه صالح في مجال الصرافة وكان راتبه في ذلك الوقت (1000) ريال. وفي نفس الوقت حافظ على تجارته الخاصة في بيع الأقمشة والأقفال.

في عام (1950) شارك أخاه عبدالله في تجارة الأخشاب والأسمنت وبعض مواد البناء. وواصل تنويع تجارته، فأنشا محطات للوقود في بريدة وعفيف.

في عام (1953) انتقل إلى جدة ليتولى إدارة اعمال أخيه صالح ، وفي عالم (1957) شارك أخاه صالحاً في أعمال الصرافة.

في عام (1968) فتح مع أخيه مكاتب داخلية في العديد من مدن المملكة العربية السعودية. وفي عام (1969) اتجها إلى التعامل مع البنوك الخارجية في العديد من الدول مثل الكويت والبحرين وسوريا ولبنان والولابات المتحدة الأمريكية.

في عام (1977) أسس مع أشقائه صالح وعبدالله ومحمد شركة الراجحي للصرافة والتجارة.

في عام (1981) افتتح مكتب لندن وتبنى فكرة المصرف الإسلامي. وفي نفس العام تحولت شركة الراجحي للصرافة والتجارة إلى شركة الراجحي المصرفية للاستثمار، وفي عام (1987) صدر نظام الشركة ومن ثم التحول مرة أخرى إلى مصرف الراجحي.

عوامل النجاح عند سليمان الراجحي

1- التنوع

رغم أن جل تركيز سليمان الراجحي في الأعمال المصرفية وهي التي شهدت إنطلاقته في عالم الاقتصاد واستطاع أن يشيد واحداً من أهم وأكبر المصارف، إلا أنه ياخذ بمبدأ التنوع في الاقتصاد والمشاريع. وينبع هذا التنوع من أن توزيع الاستثمارات يساعد في تحقيق التوازن بين أية مخاطر مرتبطة بكل هذه الأنواع كما يوفر بيئة خصبة للنمو.

ويأخذ التنوع عنده عدة مجالات أهمها:

- دخل مجال الزراعة عن طريق شراء عدد من المزارع في البكيرية وفي وادي الرمة والبطين وسرحة وأم ظهيرة ووادي الدواسر والجوف تحت مسمى "الوطنية الزراعية".
- في عام (1976) أنشأ الوطنية للدواجن في منطقة القصيم وكان مشروعاً متكاملاً يضم كافة الأقسام الانتاجية حتى تحولت إلى مدينة كاملة بها كافة المرافق والخدمات.
- في عام (1993) توسع في المشروعات الزراعية فأسس مشروع الوطنية الزراعية، بمنطقة الجوف وهي مدينة زراعية متكاملة، ثم مشروعاً آخر في محافظة وادي الدواسر.
- في عام (1997) أنشأ شركة روبيان الوطنية والتي قامت على النهج العلمي السليم في الاستثمار، وتوطين تقنيات "صناعة الاستزراع" من خلال الدراسات والأبحاث والتجارب المتخصصة، واستقدام خبرات دولية لها تاريخها في حقل استزراع "الروبيان" وبذلك تبوأت الشركة الريادة العالمية، حتى أصبحت الشركة الأهم في إنتاج وتصدير الروبيان.

- في عام (1972) أسس المصنع الوطني للمواد الغذائية، ثم أدخل عليه توسعات وتجديدات وتطوير وتحديث خطوط الإنتاج في (2004). والمصنع متخصص في إنتاج العصائر الطبيعية بمختلف أنواعها ومعجون الطماطم.
- في عام (1976) أسس مصنع الوطنية لصناعة الأوعية.
- في عام (1980) أسس مصنع الرياض للكرتون والذي يعد من اوائل مصانع الكرتون عالي الجودة لمختلف الأغراض داخل المملكة العربية السعودية.
- في عام (1980) أسس مصنع بلك الوطنية.
- في عام (1981) أسس مصنع بلاستيك الوطنية، وهو أحد أكبر المصانع العاملة في صناعة البلاستيك بالمملكة العربية السعودية حيث يشغل مساحة 60 ألف متراً مربعاً في المدينة الصناعية الثانية بالرياض.

2 - التركيز

يعتبر المصرف الإسلامي الفكرة المحورية التي استحوذت على اهتمام الشيخ سليمان الراجحي وعلى مدى سنوات طويلة كان يكافح من أجل هذه الفكرة ، لقناعته بأن العالم الإسلامي في حاجة إلى مصرف إسلامي يقوم على أساس المعاملات الاستثمارية والبنكية بحيث لا تتعارض مع الشريعة. ويكفي الناس ويغنيهم عن التعاملات التقليدية القائمة على مبدأ الربا والمعاملات المحرمة.

وفي العام (1987) أسس سليمان الراجحي وإخوته مصرف الراجحي، برأسمال (15) مليار ريال، ويعتبر هذا المصرف وتأسيسه ضمن فكر المخاطرة التي يجب ان يأخذ بها رجل الأعمال الذي يطمح نحو النجاح، فقد واجه العديد من العقبات والصعوبات بسبب قناعة الكثير من أنه لا يمكن للبنوك إلا أن تكون ربوية وفق النظام التقليدي العالمي. ولكن مع الإصرار والعزيمة خرجت الفكرة إلى النور واستطاع المصرف أن يسد الفجوة بين متطلبات المصرفية الحديثة والقيم الجوهرية للشريعة الإسلامية.

ويتمتع المصرف حالياً بشبكة واسعة تضم حوالي (500) فرعاً ولدية أكبر قاعدة عملاء، كما يمتلك أكبر شبكة صراف آلي بما يزيد على (2750) صرافا في مختلف مناطق السعودية، كما يمتلك (19) فرعا في ماليزيا، و(6) فروع في الأردن.ويعمل المصرف في قطاعات ومجالات مختلفة، ويواصل تطوير منتجاته وخدماته الاستثمارية والمصرفية مع الأخذ بأحدث النظم الإلكترونية. وأصبح الآن أكبر مصرف إسلامي، وقدوة للمؤسسات المالية الحريصة على الالتزام الشرعي مع حرفية مصرفية متميزة وجودة عالية.

3- الإدخار وعدم الإسراف

من الأمور الضرورية في حياة رجل الأعمال أن يقدر قيمة المال. ويقتصد في إنفاقه وأن يكون الإنفاق مدروساً، فهناك من يتجهون إلى الإسراف دون وعي. فالبرغم من وجود خيارات كثيرة لتجاوز هذا الإسراف. إلا أنهم وحسب رأي الشيخ سليمان الراجحي يتجهون إلى دون التفكير في بدائل أخرى، ولا يعتبر هذا من أشكال البخل.

ومن المواقف التي يرويها الرجحي أنه قبل أكثر من خمسين عاماً كان يستخدم البرقيات ليكتب عليها الحسابات والمعلومات. وبذلك أصبحت الأوراق النظيفة عنده شيئاً مهماً يمكن الاستفادة منها. وبعد ذلك عمل على تعميم التجربة في شركة الراجحي المصرفية باستخدام الظروف أكثر من مرة عن طريق إزالة العناوين والأسماء السابقة بطريقة فنية، ثم الكتابة عليها مرة أخرى وقد أثبتت هذه الطريقة جدواها في توفير الكثير من الأموال.

4- الهمة

يقول الاقتصاديون : إن أساس الاقتصاد والثروة هو الأرض والعمل ورأس المال. غير أن تجربة الشيخ سليمان الراجحي تذهب بعيداً عن هذه المقولة. حينما بدأ حياته لم يكن يملك من هذه الثلاثية إلا واحداً وهو العمل. وقد أدرك من البداية أن العمل هو الأساس، فلم يترك وظيفة إلا عمل بها، ولم يترك باباً من أبواب الرزق الحلال إلا طرقة.

ويقول الراجحي: "إن رأس الإنسان هو الكمبيوتر إذا ما استُخدم في التفكير الجاد والعمل الدؤوب. وقنوات العمل مفتوحة أمام الجميع تنتظر دخولها"، ومن هذا المنطلق استطاع الملياردير الشهير أن يبني ويدير صروحه الاقتصادية، ويدير موظفية الذين يحمل معظمهم شهادات وخبرات اقتصادية كبيرة رغم أنه لم يكمل تعليمه.

5- المثابرة

تعتبر تجربة سليمان الراجحي في شركة دواجن الوطنية خير دليل على المثابرة التي تحمل الكثير من المعاني والدروس. فقد واجه هذا المشروع في بداياته الكثير من الخسائر، إذ كانت نسبة نفوق الدواجن تصل إلى (50%) في حين أن المعروف لدى المتخصصين في هذا المجال أن الوضع يكون غير محتمل إذا وصلت نسبة النفوق إلى (10%). وكانت الخسائر وصلت إلى مليار ريال ومع ذلك لم يفكر بالانسحاب بل قرر تحويل الفشل إلى نجاح والخسائر إلى أرباح. فقام بفض الشراكة وإبعاد بعض العاملين وشراء عدد من الأجهزة الخاصة بالمزرعة وتصنيع حظائر محلية بنصف التكلفة. ونجح في خفض نفوق الدواجن حتى وصلت إلى ما دون (5%) وهي النسبة العالمية في مثل هذه المشاريع. وقد تحقق حلمه بفضل الله تعالى بدعم الأمن الغذائي والاقتصاد الوطني في المملكة. واليوم قطعت دواجن الوطنية مرحلة مهمة في تطويرها وأصبحت سوقاً كبيراً لإنتاج الدواجن وصلت إلى مرحلة التصدير.

6- الإنفاق " الأعمال الخيرية"

يقول الشيخ سليمان الرجحي: " إنه لأمر صعب أن يتحدث الإنسان، أو يكشف عن جانب من جوانب العلاقة التي تربطة بخالقه سبحانة وتعالى، وأصعب مايكون الأمر حينما يدور الحديث حول ما يقوم به الإنسان من إنفاق في سبيل الله".

يرى الشيخ سلمان الراجحي أن إبداء الصدقات ليس محرماً ولا مكروهماً ما دام يحقق المصلحة العامة، وتكون سبباً في فعل الخيرات. ومن هنا فإن مفهومه لرسالة الإنسان المسلم في الحياة الدنيا أن يكون ملتزماً بالعمل بما قاله الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم "وأنفقوا مما جعلكم

الله مستخلفين فيه" " الحديد- الآية 7 " فالمال مال الله والإنسان مستخلف فيه وعليه الإنفاق وفق هذه القاعدة.

والإنفاق عنده سبب من أسباب الغنى، وليس كما يفهم بعض الناس ويعتقدون ويصابون بحب الثروة وتكديس الأموال. وقد تأكد له ذلك من الخلف المضاعف لإنفاقة حيث فهم وعمل وفقاً للقواعد الحكيمة التي اشتمل عليها قول الله تعالى "مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سسنبلة مئة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم" " البقرة- آية 261"

ومن المواقف التي يرويها الشيخ سليمان الراجحي في ذلك، وحيث كانت بداية الأعمال الخيرية في توزيع الصدقات والزكاة على أهل بلدته في البكيرية. وعندما تعرض هو وأشقائه لفقد كثير من الأموال التي يديرونها في العمل المصرفي في عملية استبدال الجنيهات المصرية وكانت كل الشواهد تدل على خسارة كبيرة. وكان موعد السفر إلى البكيرية قد حان لتوزيع الصدقات والزكاة، ومع ذلك رفض تأجيل الموعد لحين الخروج من الأزمة.

وبينما كان هناك يقوم بالتوزيع وصلته أخبار بأن الأزمة في طريقها إلى الحل. وأن (50%) من الأموال قد استردت، ومع مرور الأيام ارتفعت النسبة إلى (80%) ثم إلى أعلى، حتى لم يتبق سوى تسعمائة ريال هي كل ما فقدوه، في حين أن الكثير من المصارف لم تستطع استرداد أية مبالغ وتكبدت الكثير من الخسائر.

وذات مرة أيضاً بعد أن شرع في بناء مسجد جنوب مدينة جدة، عرض عليه شخص لم يعرفه شراء بعض الأسهم، وبعد أن اشتراها أتصل به اخوه صالح ليشتريها وبعد مداولات وافق على شرائها بسعر تجاوزت فيه الأرباح تكلفة بناء المسجد سبعة أضعاف.

انتقلت أعمال الخير عنده بعد ذلك إلى شكل مؤسسي من خلال "مؤسسة سليمان بن عبد العزيز الراجحي الخيرية" التي تمتد فروعها إلى مختلف مناطق المملكة العربية السعودية. وتتعدد أنشطة المؤسسة فتقدم الدعم للجمعيات الخيرية، وجمعيات تحفيظ القرآن، وكفالة الأسر المحتاجة، دعم المشاريع الصحية، تنفيذ برامج التأهيل للخريجين، بناء المساجد وتجهيزها وترميمها، البرامج الدعوية.

وبذلك تعمل المؤسسة على تحقيق الكثير من الأهداف المتوافقة مع ما تحث عليه الدولة من رعاية اجتماعية وصحية وتربوية وتعليمية متوازية مع المنهج الإسلامي الصحيح.

ومن المشاريع الخيرية أيضا "جامعة سليمان الراجحي" وهي جامعة أهلية غير ربحية ملتزمة بالمنهج الإسلامي لتقوم بدور طليعي وقيادي حتى رفع المستوى الثقافي والعلمي لأبناء المملكة بصفة خاصة وللأمة الإسلامية والعربية بصفة عامة.

وأوصى الشيخ سليمان الراجحي بثلث ماله وأملاكه من نقد وأموال مستثمرة أو معدة للاستثمار من أسهم وشركات ومؤسسات ومصانع ومزارع وعقار وغيرها، ليكون الوقف في إدارة واحدة لتحقيق هدف واحد هو العمل الخيري. ولذلك اختير من ضمن أكرم (20) شخصية في العالم، نظراً للمبالغ الطائلة التي يتبرع بها لأهداف إنسانية نبيلة، والأرقام تقول أن هذه الأوقاف يستفيد منها مليون أسرة سعودية، كما توفر أكثر من مائة ألف وظيفة كما تدير عدداً من المصانع يعمل فيها خمسون ألف عامل.

ونُقل عنه أنه قرر أن يتبرع بثروته المقدرة بـ (7.4) مليار دولار حسب مجلة "فوربس" ثلثاها للأعمال الخيرية، وثلث لأبنائه، ليعود بذلك إلى نقطة "الصفر" التى بدأ منها.ويقول: "وصلت لمرحلة الصفر مرتين في حياتي، إلا أن وصولي هذه المرة كان بمحض إرادتي".

ويتعمد إمبراطور المال لبس ثوب عمره (30) عاما، ليردع نفسه، ويذكرها بماضيها، فيما أوصى بعدم إقامة عزاء له بعد وفاته، وأردف في وصيته: من أراد العزاء فعليه التصدق بمبلغ التعزية للجمعيات الخيرية.

- **محمد بن عيسى الجابر**

نبذة عن الشخصية

رجل الأعمال السعودي محمد بن عيسى الجابر، أحد أغنى رجال الأعمال السعوديين وأبرزهم، جاء ضمن قائمة الأثرياء العرب لعام (2016) بثروة بلغت حوالي (9) مليارات دولار ليحل في المركز السابع ضمن القائمة. وهو رجل عصامي ناجح بنى نفسه بنفسه، لكن لعل أهم ما يميزه أنه ليس مجرد رجل أعمال بل أنه يحمل رسالة إصلاحية واجتماعية لوطنه ولخدمة بلاده والأمة العربية.

والجابر كما هو معروف عنه يهتم بالحوار والسلام وتحقيق الديمقراطية، ويرى أن قضايا الشرق الأوسط لا تحلها الشعارات ولكن تُحل في إطار الديمقراطية وسيادة القانون الذي يجب أن يكون ملزماً للجميع دون استثناء بغض النظر عن المركز الاجتماعي أو الجنس أو الدين أو العرق.

وفي كتابه "العرب أيضاً قادرون" يؤكد على ضرورة وقوف العرب صفاً واحداً ومضاعفة الجهد على المستوى العام والخاص لنحقق التكامل الاقتصادي والاجتماعي العربي، والقدرة على الاندماج في الاقتصاد العالمي والتعامل مع التجمعات السياسية والاقتصادية الإقليمية والدولية، وبالتالي مواجهة الأزمة المالية العالمية، وعلى الدول والشعوب العربية المزيد من الوعي حتى نعيد للأمة دورها الفعال لنشارك في الحضارة الإنسانية المعاصرة، من أجل مستقبل أفضل للأجيال العربية القادمة.

ويحمل الكتاب خلاصة تجربة ثرية في عوالم الاقتصاد والسياسة والثقافة العالمية نظراً لمكانة الجابر ومستوى علاقاته ودوره في العالم كمحاور ومبادر حاضر وفاعل في المحافل الدولية

من ناحية وتجربته الاقتصادية الواسعة من ناحية أخرى، علاوة على أنه شريك لليونسكو في عديد من مشروعاتها الثقافية والتربوية الكبرى في الوطن العربي، كما أن الناطق الرسمي باسم الأمم المتحدة لمنتديات الحكم الرشيد.

أسرار النجاح عند الجابر

- الاعتماد على النفس
- التصميم على الوصول إلى الأهداف
- الإفادة من تجارب الآخرين
- الابتعاد عن المجازفة غير المدروسة
- الصدق في التعامل
- التفكير الواقعي والابتعاد عن المبالغة

- الشفافية
- الاعتماد على الخبرة
- الاحتكام للقانون

عوامل النجاح عند الجابر

1 - التنوع

يقود محمد بن عيسى الجابر مجموعة "إم. بي. آي" والتي يعمل بها نحو تسعة آرف موظف. تزاول المجموعة أعمالها في المملكة العربية السعودية ومصر والإمارات وأوربا

والولايات المتحدة الأمريكية. وتتألف من ثلاث شركات رئيسية هي: "جيه. جيه. دبليو" المتخصصة في الفنادق والمنتجعات، ومجموعة "أجواء" للصناعات الغذائية، وشركة "جداول" العالمية للتطوير العقاري. هذا بجانب شركة "كونتينتوال" الشركة الدولية لخدمات حقول النفط وإدارة الموارد النفطية.

2 - التركيز

تضم مجموعة "إم. بي. آي" ضمن محفظتها الاستثمارية شركة "جيه. جيه. دبليو" المتخصصة في الاستثمار الفندقي والمنتجعات. وقد بدأت مجموعة "إم. بي. آي" الاستثمار في البرتغال في القطاع الفندقي عام (1986). وفي عام (1989) تم تأسيس شركة "جيه. جيه. دبليو" الخاصة بالفنادق وكانت البداية من فرنسا حيث بدأت بأربعة فنادق بنتها المجموعة وطورتها. واليوم تمتلك المجموعة أكثر من (60)فندقاً في محفظتها تتركز نحو (95%) منه في أوربا وتحديداً في فرنسا، بريطانيا، النمسا والبرتغال.

تضم المجموعة بعضاً من أشهر المعالم التاريخية في أوربا مثل: Ubre cool La Tremoille Hotel واوتيل بلازا والاثنان في قلب مدينة باريس، ومنتجعات الجولف في سان لورنز في البرتغال، وجراند اوتيل فيينا. وفي عام (2011) أعلنت المجموعة استحواذها على شركة فندقية ضخمة تضم فنادق في ثلاث مدن أوربية رئيسية.

وتخضع الفنادق لإدارة مباشرة في كل دولة من الدول التي تقع فيها، كما تم الإبقاء لكل فندق على اسمه وعلامته وتاريخه، وهذا سبب أكيد للنجاح نظراً للعلاقة المتينة بين النزيل والفندق الذي اعتاده. وهذه كلها عوامل تضع الجابر اليوم في طليعة المستثمرين في قطاع السياحة في أوربا.

3 - المخاطرة

يرى الجابر أن المخاطرة موجودة في أي عمل، ولكن يجب أن تكون محسوبة أي ترتكز على قواعد ومعطيات، أما المخاطرة غير المحسوبة فهي خطأ قاتل. وهذا ما يسبب له إشكالاً مع الآخرين، لأنه يرى ان بعض بائعي الأوهام يطلقون تطلعات وأحلام بأهداف بعيدة عن الواقع، لذلك

فهو ينصح بتوخي الحذر وعدم الاندفاع وراء التأثر بمشاريع وتصورات قد تكون غير حقيقية أو غير واقعية سيما في ظل ما يمر به العالم من أزمات وتقلبات اقتصادية.

ويقول الجابر عن الخسائر التي تعرض لها المستثمرون العرب وغيرهم من المستثمرين في الأسواق الخارجية: "إن حجم الفشل بحجم الطموح، أو بحجم الطمع أيضاً، بحجم جشع الرأسمالية الجديدة". ويرى أن من معظم الخسائر كانت في الاستثمارات غير المباشرة التي اعتمدت على وعود وأوراق، وهذا ما جعله بعيداً عن هذه الخسائر لأنه يبتعد عن الاستثمارات غير المباشرة لأنها في أغلب الأحيان اتكال على الآخر، والآخر بدوره قد يكون متكلاً على حسابات أخرى، ومن هنا فإن الاستثمارات المباشرة هي الطريق الأمثل لتكوين الثروات بعيداً عن الوهام التي تقود إلى فقاعات تطيح بمدخرات المستثمرين.

4 - الأعمال الخيرية

يمارس محمد بن عيسى الجابر عمله الخيري من خلال "مؤسسة محمد بن عيسى الجابر الخيرية" وهي مؤسسة مسجلة في العاصمة البريطانية، لندن، ويرجع إنشاء المؤسسة إلى إيمان الجابر بالمسؤولية الاجتماعية وضرورة خدمة المجتمع، وهي موجهة بالأساس لخدمة أبناء المنطقة العربية.

وتعطي المؤسسة منحاً دراسية للطلبة في العالم العربي للدراسة في بريطانيا والنمسا وفرنسا، وذلك بهدف ان يعود هؤلاء الطلاب إلى خدمة بلادهم واوطانهم وبالفعل فقد قدمت المؤسسة مئات المنح للطلاب في مختلف البلدان العربية.

وتتمحور أنشطة المؤسسة حول بناء جسور التواصل بين الشرق الأوسط وبقية العالم من خلال التعليم والحوار والتبادل الثقافي والحكم الرشيد. وقد طورت المؤسسة برامج المنح الدراسية بالتعاون مع معهد لندن للشرق الأوسط التابع لكلية الدراسات الأفريقية والشرقية في جامعة لندن والذي تأسس برعاية وتمويل محمد بن عيسى الجابر. كما قدم الجابر تبرعات سخية لإنشاء مبان جديدة لكلية دار الحكمة في جدة، وفي كلية كولربس كريستي في المملكة المتحدة في جامعة أكسفورد مبنى يحمل اسمه، كما يحمل اسمه عدة مدرجات في جامعة UCL وغيرها.

وفي سبيل تحقيق أهدافها تدخل المؤسسة في شراكات مع خيرة الجامعات الأوربية والعالمية بالإضافة إلى المؤسسات التي تتبنى نفس الأفكار وتلك التي تعمل في مجال التعليم والحوار الثقافي، وكل ذلك يصب في صالح المجتمعات العربية كاعتراف من صاحب المؤسسة بالانتماء وواجبه نحو مجتمعه.

ونظراً لدوره في العمل الإنساني فقد نال العديد من الجوائز والأوسمة حيث مُنح وسام الشرف من قبل مدينة فيينا، ومُنح لقب شخصية العام (2008) لحوار الثقافات والديان، ومُنح عدد من الأوسمه الرفيعة من دول مختلفة، وحصل على ميدالية أليكسو الذهبية لدعمه الإصلاح التربوي في العالم العربي، وعلى المستوى العالمي فهو محاضر في العلاقات الدولية والإدارة والتنمية في جامعة هوبكنس بواشنطن والكلية الجامعية UCL وكلية العلوم السياسية بفرنسا.

• بيل غيتس

النشأة

للعام الثالث على التوالي احتفظ مؤسس "مايكرو سوفت" بيل غيتس بالمركز الأول في قائمة أثرياء العالم لعام (2016) بثروة (75) مليار دولار.

ولد بيل غيتس في سياتل واشنطن في أكتوبر (1955م), وهو ابن ويليام غيتس وماري ماكسويل غيتس, ولديه أختان, وهو من أصل إيرلاندي سكتلندي (بريطاني). نشأ في أسرة بروتستانتية تنتمي إلى الكنيسة الإبراشية.

ترعرع بيل في عائلة ذات تاريخ عريق بالاشتغال بالسياسة والأعمال والخدمة الاجتماعية. عمل والد جده محافظا وعضوا في الهيئة التشريعية للولاية, وعمل جده نائبا لرئيس أحد البنوك الوطنية. وكان والده محامياً بارزاً. كما شغلت أمه منصباً بارزاً في جامعة واشنطن, وكانت عضواً بارزاً في مجالس لمنظمات محلية وبنوك. ومن أجل ذلك ظهر ذكاؤه وطموحه وروح المنافسة في وقت مبكر, فقد تفوق على زملائه في المدرسة الابتدائية وخاصة في الرياضيات والعلوم. وقد أدرك والده ذكاءه المبكر مما حدا به لإلحاقه بمدرسة ليكسايد الخاصة والمعروفة ببيئتها الأكاديمية المتميزة, وكان لهذا القرار الأثر البالغ في حياة بيل ومستقبله, ففي هذه المدرسة تعرف بيل على الحاسوب لأول مرة والذي كان مفتاح تكوين الثروة بالنسبة له, فقد بدأ حياته من الصغر, وكان شخصاً عصامياً, لم يرث العقارات والمصانع والثروات الطائلة عن أبيه وأجداده, بل كل ما ورثه كان تعليماً جيداً ومناخاً كبيراً من الحرية مشجعا على الإبداع.

أسرار النجاح عند بيل غيتس

في محاضرة له قدم بيل غيتس مجموعة من النصائح للنجاح وهي:

1 - عليك أن تعتاد العيش في الظروف التي أنت فيها والتي قد تراها غير عادلة.

2 - لن تستطيع الحصول على دخل سنوي قدره (60) ألف دولار بمجرد تخرجك من المدرسة, ولن تتقلد منصباً رفيعاً لأنك إنسان محترم, ولن تحصل على سيارة إلا بعد أن تجتهد وتتعب.

3 - العالم لا يعنيه مدى احترامك لذاتك ولا كيف ترى نفسك, فمَن حولك ينتظرون ماذا ستقدم من إنجاز لا كيف تفتخر بنفسك.

4 - إذا كنت تعتقد أن معلمك قاس ويطلب منك الكثير من الواجبات فلا تتسرع في الحكم عليه وانتظر حتى ترى مديرك في المستقبل.

5 - لا تعتقد أن مهمة العمل في المطاعم وغسل الصحون وظيفة وضيعة, فقد كان أجدادنا ولا يزالون في بعض الدول الفقيرة يعتبرونها فرصة عمل جيدة.

6 - قبل ولادتك لم يكن والداك شخصين مملين كما تظن أنهما الآن، بل هم كذلك بسبب ما يدفعانه مقابل تعليمك وملابسك الجميلة ورعايتك يوما بعد يوم, وقبل أن تفكر في تغيير العالم وإنقاذ الغابات وحماية البيئة ابدأ أولا في تنظيف غرفتك وترتيب دولابك.

7 - إذا أخطأت وسقطت فاعلم أن الذنب ذنبك ولا تندب حظك واستفد من أخطائك.

8 - في المدرسة توجد فرص عديدة لتصلح أخطاءك لكن في الحياة العملية لا توجد سوى فرصة واحدة فاحرص على الاستفادة منها.

9 - الحياة التي نراها في الأفلام ليست واقعية ولكن في الحياة الواقعية يترك الناس المقاهي ليذهبوا للعمل.

10 - الحياة ليست كالفصول الدراسية إذ يمكنك أن تقضي إجازة في الصيف كما يمكنك أن تجد من يساعدك من المعلمين في تعليمك لكن في الحياة الواقعية يجب أن تنجز أعمالك بنفسك.

11 - عليك أن تحترم المتفوقين حتى وإن كانت طباعهم غريبة لأنه قد ينتهي بك الحال أن تصبح واحداً منهم.

عوامل النجاح عند بيل غيتس

1 - التنوع

في عام (1975) استطاع بيل وآلن إعداد برمجيات بلغة "Basic" للجيل الجديد من أجهزة الحاسوب، التي ظهرت في ذلك الوقت من نوع "ألتير 800" لصالح شركة "MITS" التي شكلت تحولاً بالنسبة لعالم الحاسوب الشخصي وتعاقدت شركة "MITS" مباشرة مع كل من بيل وآلن لشراء حقوق الملكية للبرنامج.

في منتصف عام (1975) وبعد النجاح الباهر الذي حققه كل من بيل غيتس وبول آلن مع شركة ميتس قرر الاثنان إنشاء شركة خاصة باسم "Micro – Soft" حيث امتلك بيل غيتس(60%) من حجم الشركة بينما حصل بول آلن على (40%) والتي تحولت بعد ذلك إلى شركة مساهمة عامة في عام (1986) بطرحها في سوق الأسهم وارتفع عدد الموظفين إلى (1200) شخص، وبها أصبح غيتس من أثرياء أمريكا.

في عام (1980) اشترت مايكروسوفت حقوق برنامج برنامج تشغيل QDOS 86 وطورته، وباعته لشركة "آي بي أم" التي كانت في أشد الحاجة إليه لتشغيل الحاسوب الشخصي الجديد الذي بدات في تصنيعه. وقد أصر بيل غيتس في اتفاق الشراكة الذي عقد بين مايكروسوفت و "آي بي أم " أن تكون شركة مايكروسوفت المزود الحصري لأنظمة التشغيل لكل الحواسيب الشخصية التابعة لشركة "آي بي أم". ومنحت هذه الصفقة شهرة كبيرة لمايكروسوفت بسبب ضخامة حجم شركة "آي بي أم" ومداخيلها التي كانت تصل إلى ثلاثة مليار دولار سنوياً.

واصل غيتس وضع تطبيقات جديدة، حيث أعد برنامج معالج الكلمات "Word 1.0" وطوره، كما اخترع نظام التشغيل ويندوز في عام (1985) الذي مر بعدة مراحل من ويندوز "1.0" حتى ويندوز "10" الصادر حديثاً.

وأصدرت شركة مايكروسوفت خلال ثلاثين عاماً العديد من البرامج الإبداعية التي انتشرت في جميع أنحاء العالم ونالت إعجاب المستخدمين. ومن بين ذلك حزمة البرامج المكتبية أوفيس التي صدرت لأول مرة عام (1989)، وتضم مجموعة من التطبيقات الشهيرة مثل: برنامج وورد وإكسل وباور بوينت. ولم تتخلف مايكروسوفت عن ثورة الإنترنت التي اكتسحت العالم بل أصدرت برنامج متصفح الإنترنت الشهير إكسبلورر في عام (1994)، والذي يستخدمه حالياً حوالي (80%) من مستخدمي شبكة الإنترنت حول العالم.

وفي نفس الإطار أصدرت مايكروسوفت بعض التطبيقات الأساسية مثل مايكروسوفت إس كيو إل سيرفر ومحرك البحث الشهير إم إس إن، هذا بجانب الموسوعة الإلكترونية "إنكارتا" عام (1993)، كما ساهمت في إنتاج الكثير من البرمجيات الشهيرة مثل: فيجوال بيسك، وفوكسبرو، وكويك بيسك، وفيجوال إنترديف، ومايكروسوفت دلتا وغيرها.

وقد واجه غيتس العديد من المشاكل في مساره، وعرضت خلافات لشركته مع شركة "آبل" أمام المحاكم، كما رفعت وزارة العدل الأمريكية قضية ضد مايكروسوفت في عام (1998) بتهمة احتكار سوق البرمجيات، وفي النهاية توصل إلى حل الأزمة بأن تكشف مايكروسوفت عن بعض عناصر برامجها للشركات الأخرى لإتاحة الفرصة لها لإنتاج برامج منافسة.

وفي عام (2014) تخلى غيتس عن الكثير من أسهم شركة مايكروسوفت، حيث لم يعد صاحب الحصة الأكبر فيها. ويؤمن غيتس بالتوظيف الجيد للذكاء لتحقيق المستحيل، وذلك من خلال العمل الجاد ومحاولة النجاح قدر المستطاع، كما يؤمن باهمية التعلم من التجارب، وفي ذلك يقول: "زبائنك غير الراضين عنك هم أعظم مصدر لتعلمك". ويرى أن عالم البرمجة مليء بالمفاجآت، ويقول: "نحن لا ندري من أي جهة من أي جهة ستأتي الفكرة العظيمة المقبلة". وهذا هو سر نجاحه بتخصصه في مجاله ثم الحرص على الابتكار والتطوير إلى أن أصبح أشهر المستثمرين في مجال الحواسيب وليتصدر قائمة أثرياء العالم.

2 - التركيز

بعد دراسته الابتدائية التحق غيتس بمدرسة "ليكسايد" حيث برع في الرياضيات والعلوم، وشكل اقتناء المدرسة عام (1968) جهاز حاسوب، منعطفاً مهماً في حياته، وهو في عمر 13 سنة، حيث أصبح مولعاً به في أوقات الفراغ، ووبرع فيه برفقة زميله "بول آلن" الذي أسس معه لاحقاً شركة مايكروسوفت.

وبدأ غيتس في سن (14) سنة من عمره اعداد برمجيات قصيرة، كانت عبارة عن ألعاب محدودة. وفي عام (1969) وبالاشتراك مع بولن آلن واثنين آخرين من زملاء المدرسة أسس مجموعة تحت اسم "مبرمجو ليك سايد للحاسوب" وأتاحت هذه الفرصة للمجموعة إمكانية دراسة برامج النظام، واكتسبوا خبرة برمجة واسعة في لغات برمجة كانت شائعة في ذلك الوقت مثل بيسك، وفورتران، وليسب.

وخلال مرحلة الدراسة الثانوية أسس غيتس مع آلن شركة صغيرة باسم - Traf – O "Data" وقاما بتصميم جهاز حاسوب صغير يهدف إلى قياس حركة المرور في الشوارع وتوفير تقارير لمهندسي الطرق في الولايات المتحدة الأمريكية واستخدما في تصميمه معالج إنتل 8008، وحققت هذه الشركة الصغيرة ربحاً مقداره 20 ألف دولار أمريكي في عامها الأول. واستمرت الشركة في العمل حتى دخول بيل الجامعة، حيث التحق بجامعة هارفارد ولكنه تركها بعد سنتين لينكب على الحاسوب والبرمجيات ويركز فيها.

3 - المثابرة

لم يحقق ويندوز (1.0) نجاحاً باهراً, وفي عام (1987) أنتجت شركة مايكروسوفت النسخة الثانية من نظام التشغيل ويندوز (2.0) وأضافت له بعض التحسينات مثل زيادة سرعة المعالجة وزيادة حجم ذاكرة الوصول العشوائي المستخدمة. بالإضافة لدعم النوافذ بخاصية التراكب والتي تعني إمكانية فتح عدة نوافذ فوق بعضها البعض.

وبعد ذلك أنتجت ويندوز (3.0) وباعت الشركة منه ما يقارب عشرة ملايين نسخة في أول عامين, مما ساعدها على السيطرة على سوق أنظمة التشغيل على مستوى العالم وجعلت أرباح بيل

غيتس أغنى رجل في العالم.

واستمرت مايكرو سوفت عاماً بعد عام بإصدار نسخ ناجحة من نظام التشغيل ويندوز حتى وصلت إلى الإصدار العاشر والذي يحتوي على المزيد من المميزات. ولولا المثابرة والتصميم والعزم والإيمان بالفكرة والعمل على تحقيقها وإنجاحها.ولو تسرب اليأس إلى بيل غيتس لكان توقف عن تطوير فكرته ولما وجدنا ويندوز.

ولم يتصدر غيتس قائمة الأغنياء بسبب قدرات عقلية خارقة, بل لأنه كان يبدأ يومه الساعة الرابعة فجرا, ويأكل البيتزا الباردة, ويعمل(16) ساعة يوميا وأحيانا كثيرة يبقى طوال الليل في مكتبه حتى استطاع أن يحقق نجاحه ويؤسس شركته العملاقة مايكروسوفت وعمره (19) سنة, وهذا كله بفضل المثابرة والإصرار.

4 - التواضع

يتمتع بيل غيتس بسمة التواضع, فمقارنة مع الكثير من رجال الأعمال نجدهم يجوبون العالم بطائرات خاصة أو يخوت فخمة , تتجاوز قيمتها عشرات الملايين من الدولارات, وينفقون الملايين ببذخ , نجد بيل غيتس أكثر تواضعا، فقد ظل يسافر لسنوات طويلة على الدرجة الاقتصادية وهي أرخص درجات رحلات الطيران وقت أن كانت ثروته (36) مليار دولار في عام (1997).

وعلى مستوى الأسرة يتبع بيل غيتس سياسة التقشف مع أولاده, فحسب زوجته ميليندا غيتس أنها وزوجها يعتدلان في الإنفاق الذي يصل إلى حد التقشف, مع أولادهما الثلاث حتى يشعروا بأهمية العمل وقدسيته من أجل استكمال مسيرة الأب الناجحة, وإعلاء ما بناه من صرح وليس تدمير ما بناه بجهده وعرقه.

وأكدت ميليندا أن الأموال الطائلة مفسدة ما بعدها مفسدة, مثل السلطة المطلقة, وأنها تمنح أبنائها ما يكفي حاجتهم من مصروف, لدرجة أن هذا المصروف لا يتيح لهم إلا شراء الهامبورجر من محلات رخيصة الأسعار وليس من المحلات الفاخرة مرتفعة الأسعار.

5 - الأعمال الخيرية (الإنفاق)

في عام (2000) أنشأ بيل غيتس وزوجته ميليندا مؤسسة "بيل وميليندا غيتس الخيرية" وهي مؤسسة تعنى بالأعمال الخيرية, وقدمت هذه المؤسسة الكثير من الدعم المادي لمحاربة الأمراض المتفشية في دول العالم الثالث. وأنقذت المؤسسة العديد من الأنفس من الموت والفقر عن طريق تزويدهم باللقاحات اللازمة والاهتمام بمستوى الصحة العامة. كما تهتم المؤسسة بالجوانب العلمية والبحثية التي تخدم العمل الإنساني من خلال تمويل الأبحاث العلمية والعمل على تحسين جودة التعليم وبذل الجهود لحل مشكلة ضعف التحصيل الأكاديمي بتعزيز الشراكات والتعاون مع المؤسسات المماثلة.

وتعتبر مؤسسة "بيل وميليندا غيتس" أكبر مؤسسة خيرية خاصة في العالم, وقدرت موجوداتها عام (2011) بـ (26) مليار دولار, وحجم تبرعاتها لنفس العام بـ (2.6) مليار دولار, ويعمل فيها حوالي (1000) شخص في معظم المدن الأمريكية بالإضافة إلى أكثر من مائة دولة حول العالم.

وقد تأسس هذا الصرح الخيري بعد أن تبرع غيتس وزوجته بأسهم قيمتها (94) مليون دولار, في عام (2000) وقدم الزوجان (126) مليون دولار لتوسيع عمل المؤسسة، ثم نمت خلال العامين الأولين من خلال التمويل لتصل إلى 2 مليار دولار.

ثم حث غيتس الأثرياء أمثاله لتخصيص جزء كبير من أموالهم لصالح المشاريع والبرامج الخيرية, وقد استجاب عدد منهم لذلك ومنهم الملياردير وارين بوفيت الذي أعلن عام (2006) عن تبرعه لمؤسسة "بيل وميليندا غيتس" بمبلغ 30 مليار دولار خصصها لدعم الأبحاث الطبية ومساعدة الفقراء والمرضى وتشجيع التعليم في الدول الفقيرة. وقد قرر بيل غيتس التخلي عن أي عمل تنفيذي في شركة مايكروسوفت, مكتفيا بالرئاسة الشرفية لمجلس إدارتها والعمل لمدة يوم واحد أسبوعيا فيها وذلك للتفرغ للعمل الإنساني, كما قرر تخصيص (90%) من ثروته الضخمة للعمل الخيري وتوريث أبنائه الثلاثة (5%) فقط وهو ما يدل على حبه لهذا العمل وحب الخير وخدمة البشرية. وقد حصلت المؤسسة على عدة جوائز عالمية تقديراً لجهودها في مجالي الصحة والتعليم, كما حصل بيل غيتس على لقب فارس من ملكة بريطانيا عام (2005) بسبب أعماله الخيرية. ونال أربع جوائز دكتوراه فخرية من هولندا والسويد واليابان وجامعة هارفارد.

- **كارلوس سليم**

النشأة

إنه المكسيكي كارلوس سليم صاحب المركز الرابع في قائمة أثرياء العالم لعام (2016) بثروة تبلغ (50) مليار دولار تتركز معظمها في مجال الاتصالات.

ولد كارلوس سليم لأسرة لبنانية مهاجرة من إلى المكسيك، حيث أن والده يوسف سليم كان من قرية "جزين" من الجنوب اللبناني، في العهد العثماني، وكان التجنيد الإلزامي في لبنان قد شمل الجميع (مسلمين ومسيحيين) مما أدى إلى هرب يوسف والد كارلوس سليم إلى المكسيك في عام (1902) هرباً من التجنيد الإلزامي الذي كاد يطاله في ذلك الوقت، وفي المكسيك أخذ يوسف يُعرف بين الأصدقاء والأصحاب هناك باسم جوليان سليم حداد.

بعد استقرار جد كارلوس وأبنائه الثلاث في المكسيك قاموا بفتح محل باسم (نجمة الشرق). ومن خلال عمله في نجمة الشرق وعلاقاته المتعددة تعرف جوليان سليم على السيدة "ليندا الحلو" التي كانت من عائلة ميسورة، والتي كانت قد أنشأت أول صحيفة لبنانية في المكسيك. ولد كارلوس عام (1940)، خامساً في عائلة من ستة أولاد، وصار اسمه حسب التقليد الأسباني الذي يحفظ اسم الوالدين "كارلوس سليم حلو".

أثر العائلة في تشكيل شخصيته

لعبت العائلة دوراً كبيراً في تشكيل شخصية كارلوس، حيث كان والده صاحب طموح كبير، لديه قدرة على تأسيس أعمال مستقلة، والعمل في إدارة اعماله الخاصة، والأم صاحبة شخصية

قوية، وإبداعية من الطراز الرفيع، وتمكنت مع والدها من افتتاح صحيفة عربية في المكسيك.

قام جوليان بعد اندلاع الثورة في المكسيك بشراء كافة حصة اخيه في شركة "نجمة الشرق" واستطاع ان يجعل من الشركة واحدة من اكبر شركات المنتجات الجافة في المكسيك.

وعندما ولد كارلوس سليم كانت شركة والده قد استقرت بشكل كبير، وهنا في هذا المتجر تلقى كارلوس، الذي كان يعشق التجارة منذ صغره، دروسه الأولى في عالم الأعمال. وكانت أهم الدروس التي تلقاها كارلوس سليم عن أبيه جوليان هي دفتر التوفير الذي يقدمه لكل طفل من أطفاله، ليعلمهم طريقة إدارة مصروفاتهم الأسبوعية. ومنذ تلك الفترة ظهرت على كارلوس عبقريته المالية حيث كا يقوم بتقديم وبيع الوجبات السريعة والمشروبات للعائلة، وكان يتعلم الاستثمار الصحيح داخل الأسرة ليتهيأ بذلك للعالم الخارجي.

وبذلك كانت البيئة التي تربى بها كارلوس سليم والطفولة الطموحة التي عاشها هي العامل الكبر في نجاحه بحياته المستقبلية. وينقل كارلوس عن أبيه الذي توفي عام (1952)، أن جده كان يشتري أراضي وشققاً في مدينة مكسيكو في وقت الثورة، التي بدأت في العقد الثاني من القرن العشرين، فأخذ أبناء الجالية يحذرونه من الظرف الدقيق وكان يجيبهم: "بالعكس، إنه أحسن ظرف، الأسعار منخفضة والأراضي والشقق باقية في المكسيك، لن تغادرها"

بداية رحلة الملياردير

تعتبر بداية كارلوس بداية من نوع خاص فهو لم يبدأ رحلة العمل بالتجارة بعد تخرجه من الجامعة كأي شخص يستمر بالحصول على المصروف من والديه حتى انتهاء مرحلة الدراسة الجامعية، ثم يدخل الحياة العملية. فالأمر هنا لكارلوس مختلف تماماً حيث كانت بداية انطلاقه خارج الأسرة في سن الثانية عشر، عندما اشترى أسهماً له وباسمه في البنك الأهلي المكسيكي للاستثمار به والذي كان من أشهر البنوك المكسيكية في ذلك الوقت. وكان ذلك بفضل العقلية المنفتحة التي نشأ بها كارلوس، والدروس التي تلقاها من والديه.

التحق كارلوس بالجامعة الوطنية المستقلة ودرس في كلية الهندسة المدنية وتخرج عام (1961). وبعد تخرجه من الجامعة أسس أول شركتين إحداهما مختصة في البناء والأخرى مختصة

بالبورصة وبلغت ثروته أكثر من (40) مليون دولار وهو لايزال ابن (26) عاماً. ليبدأ بعدها في اغتنام الفرص وتنويع استثماراته في مجالات مختلفة مثل العقارات وصناعة السجائر والتأمين.

أسرار نجاح كارلوس سليم

- امتلاك بنية تنظيمية بسيطة
- الحفاظ على النهج التقشفي
- التركيز على النمو
- الحد من الأشياء غير الإنتاجية
- العمل الجماعي
- إعادة استثمار الأرباح
- القيام بأعمال خيرية
- الالتزام بروح التفاؤل
- العمل بجدية
- تكوين ثروات
- قوة الشخصية في مواجهة الأزمات

عوامل النجاح عند كارلوس سليم

1 - التنوع

يقول كارلوس سليم: "أحب الأرقام. بعض الأشخاص تعنيهم الكلمات، أما نحن فتعنينا الأرقام". ويقول: "الثروة مثل البستان عليك أن تجعله ينمو ويستمر ليصبح أكبر وأكثر تنوعاً"،

ومن هذا المنطلق نجد التنوع الذي يأخذ به كارلوس سليم في تكوين ثروته في مختلف القطاعات الاقتصادية والخدمية، حتى أنه يسهم بحوالي (8%) من الناتج المحلي للمكسيك ويملك (40%) من البورصة.

وتضم امبراطوريته الضخمة عدداً من أشهر متاجر التجزئة الكبرى بالمكسيك وكبرى شركاتها في الاتصالات والفنادق والمطاعم والتنقيب عن النفط وشركات للبناء وبنك أنبورسا وشركات السجائر والخطوط الجوية، حتى انه يُقال إذا ذهب كارلوس لتناول وجبة في أحد المطاعم فإنه سيشتريه. ومما يُقال أيضاً إذا كنت في المكسيك فلا يمكن أن يمر يوم دون أن تدفع لكارلوس مقابل شراء سلعة أو خدمة يمتلكها بدءاً من شراء السجائر مروراً بتسجيلات الرهن وتناول الوجبات في المطاعم وصولاً إلى مملكة الاتصالات.

2 - التركيز

حينما يتم تصنيف كارلوس سليم ضمن قائمة أثرياء العالم فإننا نجد أن مصدر الثروة يشار إليه بقطاع "الاتصالات" وهذه حقيقة لأن الاتصالات لعبت الدور الأكبر في تكوين ثروة هذا الملياردير. وكانت البداية بشراء شركة "تيلمكس" وهي شركة الهاتف الحكومي في المكسيك والتي تعتبر علامة فارقة في حياة كارلوس سليم حيث أحدثت تغيراً نوعياً في حياته المالية، فهي تعتبر الجوهرة التي كلل بها كارلوس هوايته بشراء الشركات المتهاوية وإعادة الروح فيها.

في عام (1991) استطاع كارلوس، وكان على رأس مجموعة تضم شركة "بيل" الأمريكية و "فرانس كابل" أن يقوم بالحصول على صفقة "تيلمكس" وهي شركة الاتصالات الحكومية التي تم عرضها للبيع ضمن خطة الخصخصة التي أطلقها الرئيس المكسيكي "كارلوس ساليناس".

أثارت الصفقة حينها انتقادات شديدة لأن سليم حصل على تسهيلات سداد مرنة سمحت له بدفع جزء من ثمن الشركة من خلال تشغيلها. وأيضاً بسبب السعر الزهيد الذي استقرت عليه عملية البيع وهو (1.7) مليار دولار، فيما كانت تُقدر أملاك الشركة في السوق بـ (20) ملياراً. وهذا ما أثار اللغط وقيل وقتها أن كارلوس سليم لم يكن إلا واجهة وهمية لرئيس المكسيك، لكن تبين أن عرض سليم لشراء "تيلميكس" كان أكبر العروض المقدمة. وتتحكم "تيليمكس" في (90%) من

خطوط الهاتف الثابت في المكسيك، ويعمل فيها أكثر من (250) ألف موظف وعامل وتمثل (40%) من رأس مال بورصة مكسيكو.

وبسبب هذه الصفقة واجه كارلوس سليم موجة من الانتقادات الحادة وخاصة من قبل الأمريكان، حيث وجهوا له تهمة الاحتكار بعد أن فشلت الشركات الأمريكية في السيطرة على سوق الاتصالات المكسيكي، أو المنافسة ضده في سوق الاتصالات بأمريكا اللاتينية. فقد كانت "تيلميكس" بدايته في عالم الاتصالات، وبسببها دخل هذا العالم، وأسس شركة "أمريكا موبيل" التي أصبحت بعد ذلك المشغل رقم واحد في أمريكا اللاتينية. وبذلك تعتبر "تيلميكس" محطة هامة في حياة كارلوس سليم لما كان لها من أثر بارز في تضخم ثروته وتكوين امبراطوريته المالية.

3 - المخاطرة

لعبت المخاطرة دوراً كبيراً في تكوين وتنوع ثروة كارلوس سليم بل هي سر ثروته، وذلك لأنه اتخذ مبدأ الشراء وإعادة الإحياء للشركات التي كانت في حالة انهيار أو تراجع وبذلك يشتري هذه الشركات بأسعار منخفضة ويقوم بتطويرها لتصبح من أكبر الشركات. وفي ذلك يقول سليم: "إن الأزمات تكون دائماً مؤقتة، وليس هناك شر يستمر (100) عاماً، هناك دائماً قفزة.. حينما تكون هناك أزمة يحدث رد فعل مبالغ فيه وتبخس قيمة الأشياء".

ومن الأمثلة على الشراء وإعادة الإحياء التي قام بها كارلوس سليم وكانت سر نجاحه وثروته:

- شراء شركة السجائر وإعادة تنظيمها لتكون منافسة في المكسيك.
- شراء مقهى ومتجر سانبورنز.
- شراء شركة إدارة المناجم.
- شراء شركة لصناعة الكابلات والإطارات.

- في عام (1981) استطاع كارلوس سليم شراء شركة Cigatam التي تختص بإدارة توزيع السجائر في المكسيك، وهي الوكيل الرسمي لشركة مارلبورو في المنطقة. وكان لهذه الصفقة هدف آخر لأن شركة Cigatam ومن خلال موزعي السجائر كانت تقوم بجمع الضرائب من المحلات لتسليمها للدولة، لكن يتم التسليم في نهاية الشهر، وبالتالي تبقى المبالغ الضخمة موجودة مع كارلوس حتى نهاية الشهر، ليستفيد منها في الحصول على سيولة جارية مرتفعة جداً، دون دفع أي فوائد.

- في عام (1987) حين هبطت الأسهم خلال واحدة من أزمات المكسيك الكثيرة، رأى سليم فيها فرصاً وأشترى أسهماً بأسعار منخفضة وباعها حين تعافت وحقق أرباحاً بينما خشى آخرون من حدوث كوارث.

وهكذا أخذ سليم بمبدأ المخاطرة واستطاع تحويل المعادن الرخيصة إلى ذهب. وهنا تكمن عبقريته حيث تبنى ما تبناه والده الذي كان يشتري العقارات أيام الثورة عندما كانت الأسعار منخفضة للغاية، فبينما كان جميع من حوله يحذرونه من الشراء، نجده يقول: "هذا أنسب وقت للشراء" وهو ما ورثه كارلوس واستطاع بمبدأ الشراء وإعادة الإحياء تكوين ثروته الحقيقية.

4 - المثابرة

كان عام (2015) بمثابة اختبار قاس لشخصية كارلوس سليم وقدرته على امتصاص الأزمات والتحلي بالمثابرة والاستمرارية في عالم المال والأعمال. ففي هذا العام صُنف الرجل على انه الأكثر خسارة، فبعد ان كانت ثروته عام (2014) تقدر بـ (77) مليار دولار نجدها قد تراجعت في ديسمبر (2015) إلى ما يقرب من (53) مليار ، بنسبة تراجع (25%) وليتراجع تصنيفه ضمن قائمة أثرياء العالم، ولكن كارلوس كما يؤمن بالمكسب يؤمن كذلك بالخسارة سيما وان الخسارة كانت بسبب عوامل خارجة عن إرادته، بسبب الإجراءات الرقابية على قطاع الاتصالات، علاوة على ما شهدته الأسواق العالمية من تراجعات كبيرة كان أشدها تراجع أسعار الأسهم الصينية، والتي أدت إلى خسارة أغنى (40) بالعالم أكثر من (124) ملياراً من إجمالي ثرواتهم.

5 - التواضع

رغم هذا الثراء لا يعيش كارلوس سليم نمط حياة واحد من أثرى أثرياء العالم، حيث لا يولي اهتماماً بأناقته الشخصية ولا حتى بمكتبه، فملابسه لا تدل على أنه من متصدري قائمة الأثرياء. ويقع مكتبه ومبنى شركته الرئيسي في مبنى قديم في وسط العاصمة المكسيكية وتلك البناية محاطة بناطحات السحاب، وحجم مكتبه لا يتعدى مساحة مكتب أي موظف عادي.

ولا يزال يقطن في المنزل نفسه في المكسيك منذ (40) سنة ويقود سيارته المرسيدس القديمة لكنها مدرعة وترافقه مجموعة من الحراس، ويتحاشى اليخوت والطائرات الخاصة وأساليب حياة النخبة، كما أنه عاشق للعبة البيسبول ومولع بالفنون. ولا يجد أي نوع من التكبر في الاستماع إلى مستشاريه والاستفادة من خبرات العاملين مهما صغرت مراكزهم، وهذه كلها عوامل تقف وراء نجاحه.

6 - الأعمال الخيرية (الإنفاق)

يشارك كارلوس في مكافحة الفقر والأمية وسوء الرعاية الصحية في أمريكا اللاتينية، ويشجع مشاريع رياضية للفقراء، لكنه لم يعلن قط اعتزامه تخصيص مبالغ كبيرة من ثروته للاعمال الخيرية، مثل بيل غيتس أو الملياردير وارن بافيت. وهو يختلف مع بيل غيتس في هذا التوجه وقد تهكم من منهج بيل غيتس قائلاً: "إن مشكلة الفقر لا تُحل بالتبرعات بل بتوسيع قطاع أعمال يخدم أعداداً أكبر بدلاً من القيام بدور "بابا نويل".

ومع ذلك فقد أنشأ مؤسسة لتقديم خدمات اجتماعية وتعليمية بميزانية (8.1) مليارات دولار، وقدم المليارات لحل مشاكل الصحة والتعليم في المكسيك، وقدم الكثير من المساعدات لطلاب المدارس والجامعات. ويسهم في مشاريع مساعدة المفرج عنهم من السجناء على الاندماج في المجتمع من جديد ووزع آلاف أجهزة الكميوتر على الأولاد الفقراء في المكسيك وأمريكا الوسطى.

وفي خدمة المجتمع أيضاً أنفق الكثير ليبني "سنترو ديستريكت" وسط العاصمة المكسيكية وهو مشروع ضخم لإعادة الحياة إلى الحي التاريخي، فحول المكان من مرتع للجرائم إلى منطقة للسياح والفنانين الذين يستأجرون عمارات فارعة ويبنون استديوهاتهم ومعارضهم بأسعار زهيدة.

المراجع

- صحيح البخاري
- صحيح مسلم
- مسند الإمام أحمد
- البداية والنهاية

إسماعيل بن عمر بن كثير

مكتبة المعارف، بيروت لبنان، الطبعة الأولى 1990

- أسد الغابة

عزالدين أبي الحسن الجزري الموصلي "ابن الأثير"

دار بن حزم، بيروت لبنان، الطبعة الأولى 2012

- الطبقات الكبرى

محمد بن سعد بن منيع الزهري

مكتبة الخانجي، القاهره مصر، الطبعة الأولى 2001

- الاستيعاب لمعرفة الأصحاب

يوسف عبدالله محمد عبدالبر أبوعمر

دار الجيل، بيروت لبنان، الطبعة الأولى 1992

- سير أعلام النبلاء

شمس الدين الذهبي

مؤسسة الرسالة، بيروت لبنان، الطبعة الحادية عشر سنة 1996

- أعلام التاريخ (عبدالرحمن بن عوف)

علي الطنطاوي

دار الفكر – دمشق 1997

- الإصابة في تمييز الصحابة

الإمام الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني

المكتبة العصرية – بيروت 2012

- العشرة المبشرون بالجنة

عبدالستار الشيخ

دار القلم – دمشق 2007

- رجال حول الرسول

  خالد محمد خالد

  دار الفكر – بيروت 2000

- عبدالرحمن بن عوف الغني الشاكر

  محمد شريف عدنان الصواف

  مكتبة العبيكان – الرياض 2000

- أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم

  محمود المصري

  مكتبة أبوبكر الصديق – القاهرة 2002

- سيرة الصحابة الكرام (الصحابي الجليل عبدالرحمن بن عوف)

  درس لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي

- مسند عبدالرحمن بن عوف

  أحمد بن محمد بن عيسى البرتي

  دار بن حزم – بيروت 1994

- صور من حياة الصحابة (عبدالرحمن بن عوف)

عبدالرحمن رأفت الباشا

دار النفائس – بيروت 1992

- حياة الصحابة

محمد يوسف الكاندهلوي

مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع – بيروت 1999

- رجال ونساء حول الرسول

سعد يوسف أبوعزيز

دار الفجر للتراث – القاهرة 1999

- موسوعة غزوات الرسول صلى الله عليه وسلم (سرية عبدالرحمن بن عوف)

محمود شاكر

دار أسامة للنشر والتوزيع – الأردن 2001

- كيف أصبحوا عظماء؟

سعد سعود الكريباني

العبيكان – الرياض 2012

- سليمان الراجحي منظومة حياة

  رواية وإملاء الشيخ سليمان بن عبدالعزيز الراجحي

  دار الزازان للنشر – الرياض 2013

- الوليد، الملياردير. رجل الأعمال. الأمير

  ريز خان، ترجمة محمد سعيد الأيوبي

  الدار العربية للعلوم – بيروت 2005

- نعم العرب أيضاً قادرون

  محمد بن عيسى الجابر

  الدار المصرية اللبنانية – القاهرة 2009

الفهرس